مقدمة

علم القضاء والقدر

أو

سر تأخر الامم الاسلاميه

تأليف

احمد بدوى النفاشى
يوزباشى من الجيش المصرى بالسكك الحديد السودانية سابقا

« وقل الحق من ربكم : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »

حقوق الطبع محفوظه للمؤلف

(طبع بمصر ١٩٢٩ بمطبعة السعاده)

مقدمة

علم القضاء والقدر

أو

سر تأخر الامم الاسلاميه

تأليف

احمد بدوى النقاش

يوزباشى من الجيش المصرى بالسكك الحديد السودانية سابقا

« وقل الحق من ربكم : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »

حقوق الطبع محفوظه للمؤلف

طبع بمصر ١٩٢٩ بمطبعة السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

علم القضاء والقدر

(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين . أما بعد . فان الاسلام هو دين الانسانية العام والمبدأ الحق الذى يجب أن يسير عليه الناس كافة لو عقلوا حقيقة الحياة ونظامها وتطورها وتقلباتها وليكونوا أقل عثاراً وأقرب رحماً لأنفسهم . ومن الاسف أن يكون كتابا عظيما منزلا من عند الله الذى يحب جميع عباده على السواء ويحب سعادتهم فى الدنيا والآخرة ألا وهو (القرآن) الحكيم موجوداً بين أيدى البشر ولم يعتنوا به العناية الكافية ويأخذوا مافيه بقوة مقرونة بالحمد والشكر لله منزله كى يسترشدوا بالهداية مما فيه وليضمدوا به جراح هذه الانسانية المعذبة التى تتخبط فى دياجير الظلام أزماناً متعاقبة طويلة . فان مصباح الله هذا امامهم واضحاً بيناً ولكنهم وباللاسف لايرشدون .

والأمر الوحيد المؤلم الذى أهاب بالناس الى البعد عن هذا المصباح الوهاج (القرآن) . . . وقصر همة العالم عن التهافت على لئالئه ودرره الحكيمة الهاديه . هو تخبط بعض المسلمين المتمسكين به الذين عرضوا أنفسهم لتفسيره وبيانه . . وايضاح عقائده العالية وتبيانه . . وما هم فى الحقيقة إلا مقلدين بعض من سبقهم من دخلاء الاسلام .. الذين كادوا له بغضاً وحسداً . فحولوا بعض معانيه ومقاصده العالية الى عقائد مادية وثنية كانوا اعايها قبل اسلامهم هو يحاربها ويتبرأ منها ولكن القوم من فتنتهم هذه لايشعرون .

فهل علم الناس كافة أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ؟ . . وهل علم الناس أن هذا الكتاب من رب العالمين الذى خلقهم ويرغب فى سعادتهم جميعاً ؛ وهل علم الناس أن هذا الكتاب لاعوج فيه أبداً . وانه لاخلاف فيه مطلقا ولا تناقض بين أى آية وأخرى من آياته ؟ .. وهل علم الناس أنه يهدى الى الحق والى الصراط المستقيم . أو هل علموا أنه النور للحياة للافراد والممالك ثم الحياة للارواح فى الحياة وبعد الممات ؟ . . لم يعلموا شيئا من ذلك مطلقا عن هذا القرآن المجيد ولم يصل اليهم أى دليل أو علامة تشعرهم بهذا . . . أو بما هو أكبر منه ... بل بالعكس هم يهربون وياللاسف من سماع إسمه . ويتألمون بل ويتعجبون من وجود الجامدين المنتسبين اليه فى العالم . . لأن اختلاف المسلمين كان دليلهم ، وتناقض أفهام بعض المسلمين فيه كان الواقع أمامهم . وانقسام العقائد التى تسمى اسلامية كان مرشدهم الى تجاهله والابتعاد عنه وعن المنتمين اليه ماشاء

جهدهم . وهؤلاء المسلمون علموا كل ذلك .. حتى قبلوا الطعن وهنا فى دينهم حيارى متغافلين . وناموا نومة أهل الكهف بهجر نورهم من قرآنهم . ولو أعاروا هذا القرآن لفتة اخلاص . ونقلوه من وراء ظهورهم فى موضع قبلتهم ومركز اهتمامهم . ولم يكونوا كالذين قال القرآن فيهم:

(وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) نعم . إن لم يلتفوا عنه هذا الالتواء .. وينامو عنه ويضاعفوا هذا الخلاف .. أولو علموا بالأقل قول الله تعالى بأن هذا النور الهادى لا خلاف فيه مطلقا كالآية (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً). لو علموا كل ذلك بلا أقل لجدوا فى تسوية هذه الخلافات والعقائد باخلاص لبارئهم .. ولبرهنوا للناس انه حقا نور من الله : يهدى للحق والى سراط مستقيم .. ولكن كيف يكون نورا وهم أصحابه فى خلاف مستحكم لا ينقطع . (وان أدرى لعله فتنة لكم) فقد عكسوا هم بانفسهم كل قصد فيه وزاغوا به عن كل سراط مستقيم . (وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) . ياويلنا ان لم يسرع المخلصون من المسلمين فى عقد مؤتمر دورى لفحص هذا القرآن المجيد من وقت لآخر وليبينوا للناس جميعا ولاخوانهم خصوصا طريق الحق من الباطل ولينبهوا العالم بالتى هى أحسن وبأحسن الطرق التى تؤدى الى سعادة البشر من هذا الكتاب المنير .. وليمسحوا بالأقل من صحيفة الاسلام أباطيل بعض السابقين ..

انادى بأعلى صوتى وأقول: أيها المسلمون . أيها المؤمنون بالله . أيها المخلصون لربكم . هلا هزتكم نفحة من رحمة ربكم فقمتم كرجل واحد متأذرين

تكشفون هذا النور الذى أهدا كم الله به رحمة لتعميمه على البشر حيث هو تعالى يريد الرحمة والسعادة للناس أجمعين ؟.. وهل تدبرتم ماقال أسلافنا فى عقيدة القدر ؟ . . حيث بدلوا نور القرآن ظلاما ويأبى الله إلا أن يتم نوره .. وهلا بحثتم عن أسباب شقاقكم ونفاركم حتى فى فهم هذا الكتاب الحق من غير أن تيأسوا من روح الله بارئكم ليهديكم جميعا وينير طريق الحق للعالمين ؟..

ياهؤلاء . ارانى بفضل من الله المح نوراً وبصيصا في القرآن يحضكم على النظر فيه.. وتكرار التفكر فى اول باب من ابواب السعادة الانسانيه فى خلال سطوره . . ذلك هو علاقه الله بلا نسان وعلاقه الانسان بربه .. أومانسميه فى اصطلاحنا بعقيدة القضاء والقدر.. فقد قلد المسلمون فيها من سبقهم من الامم حذو النعل بالنعل..ونفث فيها المنافقون ممن اسلموا تقليدا فى صدر الاسلام من الوثنيين وغيرهم أوهام اديانهم البائدة وخرافات فلسفتهم مما أقسم الامة الاسلاميه واقعدها وأضاع ماضيها العظيم ويكاد يأتى عليها فهل من سميع بصير . . وهل من غيور كريم . اريد وربى ولو رجلا واحداً مخلصا لله يعضدنى.. ويرفع صوته معى لاسناد صوتى الضعيف هذا للصرخة فى آذن العالم .. فهل أجد واحداً ثم واحدا يتبعه ؟.. لا أطمع فى الكثرة ان كانت قوتى لا تجذب الألوف والملايين. بل يكفينى ضعيفاً مخلصا مثلى يسندنى ونتكل على الله فى دعوتنا بقوه والله الهادى ليضع هذا العالم تحت لواء القرآن المجيد بنظام أقرب الى الحق والرحمه ذلك القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم

وليجد العالم ضالته المنشوده التى توطد مركزه فى الوجود

(٢)

اما الله العلى العظيم كما ذكر القرآن .. فهو الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى . واتم خلق كل وحدة فى العالم اتماما كاملا بحيث تسبح فى هذا الوجود حرة مطلقه وليس عليها الا ان تسترشد بكمال حريتها وخلقها الكامل الى من خلقها فتؤمن به وتخشع له .. وهناك تحيي حياة السعادة وتفنى فيها .. ثم تحيي فيما هو أسعد وأرقى فى حياة اخرى .. لانها قامت من نفسها بواجب الشكر لخالقها وهو كل الغرض من خلقها ووجودها فى هذه الحياة الفانيه .. حياة الاختبار حياة اختيار كل مايريد لنفسه من سعادة أو شقاء .. وعلى مبدأ شكر الله أو عدم شكره فمن شكر سعد ومن كفر شقى .

اما الانسان : .. فهو ذلك المخلوق الممتاز فى العالم بحسن خلقته والمفضل بكمال تركيبه وقوامه وصورته .. القوى بالله الذى يفتح بعقله مغالق كل علم فى الارض والسماء .. العاجز بنفسه الذى يجهل سر نفسه وخلقه وما له إلا بعلم من الله .. الجبار على نفسه فى اساءة استعمال نعم الله عليه الضعيف امام قدر الله الخالق القوى الرقيب على حركاته وسكناته .. فهو لذلك من احق المخلوقات بالسعاده إن ارادها لنفسه وحريته .. ومن أتعس خلق الله اذا ضل وكفر بالله واهبه العلم والهدايه .. لأن علاقه الله بالانسان لا تنفك ولا تنفصم .. وعلاقة الانسان بربه لا تنفصل ولا تنقطع .. لانه بكلمة من الله خلق ووجد .. فالارتباط اذا محتم .. دائم لا مفر ولا يمكن منه الهرب

والله الرحمن بازاء الانسان آله واحد فرد صمد.. له كل كمالات الالوهيه بأسمى المعانى واشرفها .. واولها احتجابه المطلق بسبب منحه الحريه المطلقه للمخلوقات في هذه الحياة الوقتية والانسان عبد عليه واجبات يكدح في هذه الحياه لتأديتها بقدر ما أمده الله به من خلق وعقل ونعم وعلم وحرية وأولها الايمان بخالقه الذى عنه احتجب.. فان حسن العمل لربه في هذه الحياة الوقتية ومضى التجربة فيها باخلاص حتى ينتهى منها فقد حقق لنفسه الجوار لربه الى الابد..وهناك السعادة برؤية ربه ..وان أساء العمل وكفر بالله بأى شكل من اشكال الكفر في هذه الحياة فقد هوى ..والتزم التعاسة هنا وبعد الموت الشقاء الى الابد . ولذا كانت الحريه المطلقه للانسان في هذه الحياة هي المنحة الآلهيه بعد اتمام خلقه. وبازائها وبسببها قد التزم الله بالاحتجاب ترفعا لكرامته الذاتيه .. ثم الرقابة الدقيقه على هذا الانسان عن كل صغيره وكبيره أو حركة وسكون. ثم ليصيبه بجزاء عن كل حركة وسكون وعمل مهما كان حتى ليخيل له ان الجزاء الالهى الزم له من الظل للجسم .. وحتى توهم البعض من الناس ان الانسان مسير من الله في هذه الحياة غير مخير من الاصابات الالهيه الغير اختياريه التى تصيبهم من اعمالهم .ولكنهم واهمون مخرفون .. فالاصل للانسان من ربه حرية مطلقة تامة بكل معانى الاطلاق الحر .لايمسها الله الا بالحق لانه مخير دائما بين حق وباطل ويتلازم معهما بلا انفصال جزاء الله المتوالى في كل لحظة من اللحظات بلا انقطاع أكثر من التزام الظل للجسم.. وقد يكره اكراها بالجزاء هذا الانسان عند العمل بهذه الحرية المطلقه

فاعلم اذاً من ذلك ان الله يعمل دائماً لا ينقطع عن العمل لحظه ولاطرفة عين . يحسب الله لكل أمر حسابه وكل حركة وسكون من هذا الانسان نتائجهما وما يلزم لهما من قدر وتقدير بحساب دقيق عادل محكم لايقدر أحد غير الله على اتيانه بمثل هذا العدل والاحكام : اما قرات من كلامه الحكيم انه تعالى أسرع الحاسبين . . فتصور إن كنت تقدر على ذلك كيف تكون القدرة الالهية فى الحساب عن كل شخص فى العالم وفى الامم . حرية مطلقة لكل فرد يتبعها الاصابة بالجزاء عن كل حركة وسكون ولو كانت أقل من حركة التنفس فى الانسان . . أماقرأت فى هذا القرآن أنه تعالى جعل لكل شئ قدراً وانه تعالى يقول : فقدرنافنعم القادرون . . هو ذلك عن عمل الانسان الحر المطلق ثم تقييد حريته بالجزاء العادل المحتم أساء أم أحسن فالله لايغفل عنك لحظة وان غفلت عنه جهلا وعمداً ولا تأخذه فى الليل والنهار عنك سنة ولا نوم . يعلم مابين أيديهم وما خلفهم فيصيب الناس ويحور الحوادث بقدرته الدقيقة وحسابه المكين تبعاً لاراداتهم الحره المنوعة من عمل صالح وطالح وإيمان وكفر فهل بعد ذلك قدره وجلال شأن وسهر على العدالة العالمية ؟ . . أما قرأت فى القرآن : مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وكل يوم هو فى شأن

اذا نظرت جيشين يقتتلان وتأكدت من ظاهرهما وبما أتاه كل منهما ان أحدهما تغلب على الثانى ولم يبق إلا ثوانى لتمام الانتصار . وفى آخر لحظة من لحظات الواقعة انقلب الأمر فجاءة . . وأخذ الامر ينعكس والقوة الضعيفة أخذت فى الانتعاش للتغلب على الأولى حتى تم لها النصر

عليها نهائياً . . فاعلم ان هذا التحول وهـذا النصر من عند الله . . لا مصادفة ولا تمييزا بلا سبب بين فرقة وأخرى افرض مجهول . . لان الله تعالى يحب جميع الناس على السوا بلا فرق . . ولـكنه تحول بسبب تحول القـلوب وتقدير من الله تبعا لوجهة عمل كل فرقة منهما فى آخر الامر . مع حفظ حرية كل منهما المطلقة فى العمل بلا محاباة ولكن الله لا يغفل مطلقا عن أى شئ وفى أى لحظة ويقدر لـكل شئ قدره باسرع مايتصور العقل من لمح البصر فيصيب الناس باصابات مضبوطه لاتحتاج للمراجعه فى كل نتيجة خاصة أو عامة لانه تعالى لا يغفل لحظ عما نعمل ويمثل هذا عن كل حادث وعمل فى هذا العالم . . ارادة حرة مطلقه من الانسان فى هذه الحياة بكل معانى الاطلاق يتبعها مباشرة وبلا توان كملازمة الظل للجسم اصابات من الله محتمة لا مناص منها جزاء لما تريد وتعمل بحساب دقيق من اعدل مايمكن تصوره من العدالة . ونتائج الحروب العالمية الماضية المدهشة أكبر شاهد

(٣)

ايها الانسان يمكنى ان اشبه لك حرية الانسان المطلقه فى هـذه الحياه وقدر الله معها بصدى الصوت . اما تعلم أن لكل صوت صداه . . أو بتعبير آخر ، اما تعلم أن لـكل حركة مهما كانت صغيرة فى العالم ما نسميه برد الفعل . . ففعل الانسان حر مطلق وارادته حرة مطلقة اطلاقا تاما في هذه الحياه ولـكن جزاءه على أى عمل بهذه الحريه لا يملكه هذا الانـسان مطلقا بل يرغم عليه من الله ارغاما . . فالانسان يبدأ والله يتبع . هذه قاعدة الحياه والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

إن الانسان يملك حريته فى أى عمل . . . ولكن نتيجة العمل وثمرته لا يملكها ولا يمكنه ردها ان كان خيراً أو شراً . أما قرأت فى القرآن الحكيم : قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله .. وذلك لان النفع أو الضر جزاءات الهية لارد لها من الله تأتى منه تبعا لحرية الانسان المطلقة فى عمل الخير أو الشر الذى لا يقدرهما عنه وقوعهما منه إلا الله وحده لانه تعالى لا يغفل . . .

أيها الانسان : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . . لان الله تعالى يحب الخير لكل انسان مهما كان ولانه لذلك خلق . . . فكل حسنة يجدها الانسان فى الحياة فهى منحة أو يستحقها من ربه جزاء ما دام مستعملا حريته المطلقة فيما يجلب لها هذه الحسنات ولا يجلب الحسنات من الله للانسان أكثر من الشكر له وسلامة الضمير اليه ومن سلامة الضمير لله تكونت كلمة (الاسلام) والدين عند الله الاسلام .

لا يجلب للانسان مايسيئه من نفسه فى هذه الحياة غير العمل السىء والكفر المتعب للضمائر فالجزاء السىء له من الله على ذلك الصق وألزم .. لأن الله تعالى من نفسه لا يريد لأى انسان شيئا سيئا ولا عذابا مطلقا ولكن جزاء الانسان على عمله الحر السىء أمر محتم ولا يمكنه رده فالعمل السىء والكفر بالله من الانسان نتيجته المحتمة الألم والعذاب من الله أما قرأت فى القرآن : مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ..فترى من ذلك أن الانسان حر مطلق فى أى عمل فى هذه الحياة ولكن ثمرة عمله

ليست فى يده ولا يعرفها ولا يملكها ولكنها فى يد الله وحده .. فتدين الانسان وتبصره وتخيره فى العمل الحسن قبل الاقدام عليه خير له وأحكم وعاقبته لسعادته أسلم وأنجح وكفاه أن تكون ثمرة كل عمل يعمله فى يد الله العادل لانه على كل شئ وكيل وبكل شئ عليم وعلى كل شئ حفيظ وانه تعالى قائم على كل نفس بما كسبت فلا مصادفة فى الحياة ولا فوضى (ان الله كان عليكم رقيبا) ولما كان الله تعالى أول من يحب سعادة الناس جميعا فقد نوع الاقدار التى تصيب كلا منهم تنوعا حكيما بقدر اختلاف وجوههم للدلالة على قدرته وحكمته ورأفته بهم ورحمة وكل هذه الاقدار متشابهة متقاربة المعنى والغرض كتقارب الأصل الانسانى فى تركيبه وصفاته . . . ولذا قد استعنت بالله العلى العظيم وتوكلت عليه فى تسمية هذه الاقدار المنوعة (بعلم القضاء والقدر) ليستوفى الناس فى المستقبل حكمة الله فى كل أمر يصيبهم .. وليحمدوه ان أرادوا على ما أصابهم . وليتعلموا الثبات على الحق وير كنوا بأنفسهم بالايمان والاخلاص لربهم فى كل ما آتاهم . . . وليكون الذين قبلوا تتويج رؤوسهم بكتاب الله (القرآن) فوق الرؤوس يأمرون بقوتهم بالمعروف وينهون عن المنكر وليكونوا قدوة حسنة للناس أجمعين

وانى أضرب أمثالا لبعض الاقدار من القرآن عن أعمال الناس على اختلافها وتنوعها :

أولا : قال تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا » والمعنى .. أن الله تعالى لو كان يريد أن لا يشركوا فى الحياة الدنيا كما حصل

ووقع منهم ما كانوا أشركوا ولا وقعوا فى الشرك الذى جازاهم عنه فى الدنيا أولاً لفرض رجوعهم عنه ثم يعذبهم جزاء شركهم هذا الذى أصروا عليه الى الموت يوم القيامة بالخلود فى النار .. وحجتهم الوحيدة هى أن الله تعالى كان فى امكانه ان يمنعهم فى الدنيا بقدرته عن الشرك المذكور . ولكن هذا محال .. لماذا ؟ .. لان الله تعالى سبقت كلمته بحق بسبب كمال نفسه الذاتى وكمال الخلقة الانسانية ان لا يتعرض لحرية أى شخص كان لعبادته التى خلق لاجلها فى هذه الحياه .. بل فتح له طريق الكفر به والشرك أيضا لالفرض الشرك نفسه - بل لفرض انه يتأكد حريته الكاملة فى العبادة . . فكانت ارادة الله الحقه عن وجوده فى الحياة هو أن يختار بنفسه الايمان بالله وعبادته أو الشرك والكفر به أيضا وطريق الجهتين سهل له .. (إنا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفوراً) فكما انهم بحريتهم اشركوا بالله فى الحياة الدنيا . فانهم بنفس هذه الحرية كان يمكنهم الايمان أيضا من غير لزوم الى قوة الله تعالى التى يدعونها لتردعهم عن الشرك المذكور فى الدنيا ليتخلصوا مما هم فيه من العذاب فى الآخرة هذا علاوة على أن من يؤمن بالله يتولاه الله فى الدنيا بمساعدة محدودة للهداية الى كل حق . (يهديهم ربهم بايمانهم) ثم قد يتداخل الله مع المؤمن فينصره فى مواقفه الحرجة الكثيرة - (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) - فكل ذلك وغيره امتياز للمؤمن فى هذه الحياة . فهم فى ادعائهم وارتكانهم على قدرة الله تعالى فى منعهم عن الشرك فى الدنيا كاذبون جدا . . ولذا .. فالله تعالى يكذبهم فى ادعائهم هذا (وهو ادعاء مذهب الجبرية الذى عليه أغلب

المسلمين الآن) وأعلن الله في القرآن انهم كاذبون كغيرهم ممن سبقهم من الامم ثم كذب الرسل بأى حجة واهية كهذه فقال تعالى : (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى دعوة الرسل للايمان وعدم الشرك بتمام حريتهم ارتكانا على قدرة الله القادرة على كل شيء لا علي ارادتهم الحرة .. ثم قال تعالى (فلو شاء لهدا كم أجمعين) أى بقدرته .. ولكنه تعالى لا يخرق النظام الحق الذى قرره لضرورة ايمانهم بأنفسهم أولا فى هذه الحياه .. كما تقدم

ثانيا — بعكس ما تقدم قد يتداخل الله تعالى فعلا فى أفعال عباده الحرة لغرض عادل حق وانصرة الحق على الباطل . كما قال تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ومثال ذلك قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى .. » فرمية النبي صلى الله عليه وسلم فى الوقعة التى كان بها ما كانت محكمة الرمى وربما كانت لا تصيب الهدف فى الظالم المعتدى على نبي أرسله الله خاصة لسعادة الناس وتخلصهم مما هم فيه من الباطل .. فتداخل الله تعالى بقوته الخاصة فى تلك الرميـة .. لان المصاب بها حـل الوقت الحق بقتله وموته .. وبموته يموت الباطل وينتصر الحق أيضا .. فالنبي اذاً .ولو انه رمى الرمية ولكن كانت من غير الله كعدمها .فأحكمها الله بيده فى المعتدين .. وهذا المثل عنوان حق لتداخله تعالى فى أعمال الناس الاخرى المشابهة لذلك .. ولكن ليس لهدم المبدإ السالف بتقييد الحرية كما قررنا بل لحكمة انتصار الحق على الباطل فى كل ظرف ومناسبة حتى عند جميع الناس وفى أقل المسائل .. وكذا قول الله تعالى ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض — فالله يفضل اصلاح حال الناس

على افساد أخلاقهم .. فهو تعالى يؤيد الافضل والاقرب للاصلاح والايمان لينتصر المصلحون على المفسدين فى الارض .. وحكاية بنى اسرائيل في الآية (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا .. فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد الخ أكبر شاهد على تأييد هذه النظرية .. وكذا قوله تعالى .؟ (وان عدتم عدنا) والمعنى ان عدتم بحريتكم الى الفساد فى الارض عدنا للانتقام منكم بتحكم قوم هم أشد منكم قوة وأقرب الى الاصلاح وعدم الفساد . وهذا النظام التداخلى يسرى على الافراد كما يسرى على الامم كما تقدم واستيلاء الاجانب على بلاد الاسلام الآن من فسادهم فى الارض أكبر شاهد على عدالة الله ورحمته . ثم أن تداخل الله تعالى هذا . متنوع تنوع قدرته على كل شىء حتى قد يأمر ملائكته بالتداخل فى الحرب أحياناً اذا خيف من انتصار الباطل على الحق .. وهو تعالى وحده أعلم بكل حالة وتنوعها وما يجب لها دون غيره . . هذا مع العلم ان وقوع التداخل لا يزيد عن توقيع جزاء الله العادل على كل مرتكب شيئاً مهما كان نوعه . ثم حفظ الحرية للمخلوق تامة ليكمل بها حياته على أحد الوجهين إما ايمان وإما كفر حتى تختم حياته بالحق كما أرادت من صالح وطالح « وما الله يريد ظلما للعباد . وما تجزون إلا ما كنتم تعلمون »

ثالثاً : من تنوعات تداخل الله تعالى فى أعمال المخلوقات قوله تعالى عن أم موسى :(لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) . ففى هذه الحادثة التى أمر الله فيها أم موسى عليهما السلام يرمى ابنها فى صندوق فى

البحر ربط على قلبها بالايمان لأنه أمرها بأمر لا خيار لها فيه . . ومن العدل حفظها من الكفر والذهول . . من أثر رمى ابنها فى البحر فربط الله على قلبها بالايمان بصفة استثنائية لهذا الغرض العادل ولكنه تعالى لا يفعل ذلك مع غيرها . . فقد يمتحن الله بعض الناس فى ايمانهم بنقص مال أو موت أو . . . أو فبعضهم يستمر على ايمانه وإخلاصه لله مادام هو ممتعاً بالخيرات والملذات فى الحياة . . ثم فى الحرمان تجده نسى الله تعالى وكفر فى الحال وأضاع نفسه كما قال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . . . وقال تعالى عمن يكفرون بالله عند الفتنة أو الامتحان فى الآية : ومنهم من يعبد الله على حرف . فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين . . لأن الكفر فى هذه الحالة يفقد الانسان الخير الذى بيده جزاء له فى هذه الحياة . . ثم عذاب النار فى الاخرة جزاءه الختامى السئ فيكون حقيقة خسر الحياتين نعوذ بالله من ذلك

رابعاً : قد يشدد الله جزاءه على بعض الناس ويكون هذا التشديد رحمة لهم لانهم بذلك يجتنبون الكفر خوفا ويفتكرون ربهم دائما مادام ضاغطا عليهم بالضر . حتى اذا رفع عنهم الضر عادوا الى الكفر والاستهزاء بربهم فيكون التشديد لهم انفع لحالهم وأرحم لانفسهم كالآية : ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون . . فعلة التشديد اذاً لم تك إلا للرحمة لا غيرها .

وبالعكس : قد يؤجل الله العذاب عن بعض مرتكبي الكبائر . لا لعلة مسامحتهم أو محو جزاءتهم بلا سبب . كلا . بل لحكمة انتظار أعمالهم التالية فى أيام أخرى علهم يصلحون نفوسهم بالأعمال الصالحة والتقوى والصدقات فينقص الله من السئ السابق بقدر عملهم الصالح الثانى حتى ينتهى مقدار الجزاء الأول الكبير كما قال تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) . وكما قال تعالى عمن يسامحون الناس على خطاءهم . (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) . وكالآية : ولو يعجل الله للناس الشر الخ . وكل هذه التنوعات فى توقيع الاقدار والجزاءات لا يعرف حكمتها غير الله وحده لانه تعالى (لا يشرك فى حكمه أحدا) وكل ذلك لا يسلب الانسان حريته الكاملة فى الحياة حتى الممات . ثم لا يقع شئ فى العالم مصادفة ولا بغير علم من الله تعالى كالآية (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها)

خامساً : من أسرار الاقدار المتقدمة التى ذكرناها لوجودها بالقرآن هى وغيرها يتضح أن الله تعالى فى توقيع الجزآت على الناس والأمم جميعاً يراعى دائما رحمتهم وسعادتهم الأبدية (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) مع عدم مس حريتهم مطلقا إلا بحق وبمقدار وعدل لا تشوبه شائبة وبسبب ذلك كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل . . لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره لان هذا الايمان حق لا شك فيه . وعن علىّ قال (كنا فى جنازة ببقيع الفرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مخصرة فجعل ينكت بها الارض ثم قال مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار

ومقعده من الجنة . فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير الى عمل الشقاء ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)

ومن القواعد السالفة نفهم حقيقة مقصود الرسول عليه الصلاة والسلام من هذا الحديث فانه جمع لكل انسان عند الله مقعدين واحدا للنار وواحدا للجنة بدليل قوله وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة (بواو الجمع) وليطابق ذلك قول الله تعالى (وهديناه النجدين أى طريق الجنة وطريق النار معاً) وله الخيار التام فى أحدهما أو فى كل منهما بالتناوب من أعماله المختلفة المتضادة فى هذه الحياة بتمام حريته (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما قصده عليه الصلاة والسلام من قوله : ان من كان من أهل السعادة الخ فليس كما يدعى بعض المضلين بأن الله تعالى خص اناساً للسعادة وحدها . . وخص اناساً للشقاء وحده بلا سبب ولم يسو بين الناس بالعدل ليجعل لبعضهم طريقاً واحداً لا طريقين كما تقدم فان هذا الادعاء الكاذب على الله ينفيه . . أولا : جمعه لكل انسان مقعدان عند الله مكتوبان وهما ضدان لايجتمعان (٢) ايضاحه هذا الغرض بذكر آية الله القائلة « فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » بعد ذلك . . فان تلك الآية تبين أصل قصده من الحديث عليه الصلاة والسلام فان التيسير ذكر بين التسويف والمضارع للزوم وقوعه بعد اختيار الانسان أولا حتى اذا أعطى واتقى وصدق بالحسنى بالفعل

الماضي الذي هو رَمْزٌ الى ضرورة سبق اختيار الانسان للايمان حتى يتيسر له اليسرى والسعادة . وان اختار بحريته التكذيب وكذب بالحسنى .. فجزاؤه كالآية الثانية : فسنيسره للعسرى وهو طريق النار وليكون ذلك منطبقا على الآية : (انا هديناه السبيل : إما شاكراً وإما كفوراً) فطريق الكفر والايمان معاً مفتوح أمام كل انسان وفي كل لحظة من لحظات حياته حتى الموت ... وعند الحساب وتصفية الاعمال يوم القيامة يتأكد الانسان قول الله تعالى : فأما من ثقلت موازينه (بالايمان بحريته) فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه (بالكفر والفساد بحريته) فأمه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية ... (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) صدق الله العظيم .

(٥)

أما أكبر شيء آلمني في هذه الحياة فهو أن أرى المسلمين في بقاع الأرض منحطين دون غيرهم من الامم مع اكبارهم واحترامهم للدين وتغلغل هذا الاحترام في احشائهم لدرجة أنهم يتفادون به بكل شيء في هذا العالم ولكن من الأسف الشديد أنهم بنوا أساس أعمالهم من دينهم على عقيدة القدر دون غيرها ولكن بشكل مقلوب باطل . فكأنها هي كل الدين على خطأها هذا .. وكأنها هي الاساس الذي يرجعون اليه في كل نتيجة من نتائج أعمالهم في الحياة .. مسيئين الظن بالله تعالى دائماً بانه هو الذي قدر لهم هذا من غير أن يراجعوا أنفسهم بانهم سبباً لسوء القدر المذكور أينما

كان ناسين قول الله تعالى (وان عدتم عدنا) فلا يهمون من رقادهم لاصلاح الحال بانفسهم حتى ولو تكرر عليهم سوء القدر ناسبين ذلك الى ارادة الله تعالى وحدها ولم يتفهوا يوما لاشتراك أنفسهم فى المقدمة في نتائجها وأسبابها . . ولم يعرفوا ان القدر من الله لا يكون إلا بقدر عملهم الذاتى . ثم لا يهتمون ولو مرة لتجديد الاقدار بشكل أحسن بتحسين حالهم وأعمالهم وتجدلهم دائما نتيجة واحدة ظاهرها علمهم بأن دينهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على كل عمل صالح وتقدم وارتقاء فى الحياة ولكن باطنها الاستسلام والخنوع والجمود لسوء الاقدار بالصاق ذلك لله وحده بلا سبب وهو تعالى براء من قلب عقيدتهم الى الباطل وفى يدهم تحسين الاسباب التى أدت بهم الى سيئ النتائج

القدر تحت ارادة الانسان الحرة فان جمد الانسان فى الحياة ينتظر قدراً من الله حسناً فقد لا يجد إلا سيئا من جموده لأن الله لا يجمد ولا نه الحياة . . ولا يقدر الله لانسان إلا ما يريد لنفسه (وان ليس للانسان إلا ماسعى) وهو أعلم تعالى بعدالة كل جزاء . لو تشبع المسلمون بعقيدة القدر كما هى فى القرآن من غير أن تعكس عن أصلها كما هم عليه الآن ثم عملوا بها بجراءة واقدام وتفكروا فى كل نتيجة وحسنوا أحوالهم من سيئات ما أصابهم ثم يعتقدون ان الاقدار ليست الا نتيجة مباشرة لمجهودهم الذاتى فيوالون كل نتيجة بتحسينها ورقيها بأنفسهم لا بارتكانهم على قدر يأتى من الله لهم عفوا . . إذ الاقدار ما هى الا صدى للاعمال الشخصية ثم اندفعوا فى العمل الصالح بأنواعه فى كل ما يشكل لهم أمة قويه

ان فعلوا كل ذلك مالبثوا ان رأوا من الله اقداراً زاهية جميلة يفخرون بها كما يفخرون الآن بصدر الاسلام ويرضون ربهم بسلوكهم باحلالهم انفسهم محلا لائقا بايمانهم وكتابهم . فهل هم من جديد يتفكرون فى هذا القرآن المجيد ؟ والى الحق عائدون والى ذروة المجد مترا كضون ؟ .

هذا كل ما أريده من وضع واستنباط علم القضاء والقدر من كتاب الله بعد أن فكرت فيه طويلا وبحثت وراجعت ووازنت بين العقائد المختلفة مدة أربعين سنة متوالية بلا انقطاع وقد ساعدنى على ذلك حفظى للقرآن الكريم في الأزهر الشريف وأنا بن عشر سنين فكنت على صغرى أحفظه كله حفظا جيداً وأرتله ترتيلا حسنا وان تقلبي فى المدارس بعد ذلك وفى أعمال الحكومة وأشغالى الكثيرة الدنيوية ما أغفلنى عن هذا القرآن الحكيم ولا هجرته يوما . ومع ذلك لا أدعى أنى وصلت المطلوب كاملا.. فأملى من اخوانى المؤمنين (ولو من أبنائى) من يحسن ويسهل هذا العلم الجديد ليكون سهل التناول لكل شخص فى العالم ففيه سر السعادة الانسانية المنشودة . بل هو أكسير الحياة لمن آمن بالله وأخلص وقال انى من المسلمين .

الداء فى الاسلام هو داء القدر الدفين ولذا عنيت أن أجعله علما مستقلا لعدم التمادى فى سوء الظن بالله تعالى كما حصل ذلك من الامم الاسلامية البائدة بلاحق وهو داء سهل التداوى جداً لمن آمن بالله وأخلص . . ولو تأمل العاقل كيف تغلغل هذا الداء فى أحشاء الامة حتى كاد يميتها لهوى فى اليأس أو كاد من سوء حالها الواقع .. فهل علمت

أن الرؤساء وبعض الأئمة افتتنوا بعقيدة القدر حتى بدلوا الحق بالباطل وأثخنوا فى جسم الامة سموم الوهم بسوء الظن بربهم .. حتى حقت على الامة دائرة السوء من الله حقا لاتباعهم كبراءهم وبعض أئمتهم فى ذلك الضلال البهيم !. ثم هى مازالت غارقة فى حميات الجمود حتى صار الجمود كداء موروث له مضاعفات هدامة كلما داويت جرحا سال جرح .. ولكن لا يأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فالبعض من الناس ممن خمدت مداركهم يتوهم ويدعى أن الاعمال والجزاآت مكتوبة للشخص بالذات قبل وجوده وان حريته اسمية وكل ما يعمله ويصاب به من حركات وسكنات لم يك إلا أشبه بتنفيذ ماهو مكتوب بحيث لو قرأ الانسان فى أم الكتاب قبل الخلق ماسيعمل وسيصاب به هذا الانسان بالذات لوجد أعماله وجزاءه الذى أصابه فى هذه الحياة منطبقا عليها تمام الانطباق من غير أن يكون له طريقا آخر متروكا وكأن لا خيار له استقلالى فى شىء مطلقا بل له خط سير واحد مقرر لا مفر منه !!

وهذا فكر تقشعر منه الابدان ويدل على تمام سخافة العقول التى تدعى به .. لانه لادليل له فى القرآن العظيم مطلقا ولا فى النفس ولا فى العالم إلا فى المخيلات الوهمية الكاذبة .. إذ يكفى للدلالة على تكذيب هذا الوهم من أول وهلة انعدام الفرض من الوجود بل انعدام الفائدة من أوامر الله تعالى ونواهيه وارسال الرسل ونزول القرآن الحكيم و.. ولصار الوجود باطلا يستحق العدم بلا أسف بسيط !! ...

بل ذلك يؤيد نسبة اللهو واللعب للخالق سبحانه وهى نسبة لاتليق

لكماله الحق لمن تأمل لنتائج هذا الوهم الكاذب . — مع ان البداهة تكذبه وان الله تعالى يتنزه عن كل أمر لا يؤول به الى الكمال والعدل المطلق . . . وبسبب هذه الاوهام قررت وضع وجوب كمال الله من الاسس الاولية فى علم القضاء والقدر الحديث لغرض محاربة هذا الوهم الكاذب .

إني أعرف أن كثيراً من افراد الامة الاسلامية وعلمائها يتلقون هذا الاعتقاد الماضى بالقبول لتوهمهم أنه فى الدين . ويعتقدون أن مطلق التسليم به فرض وأمر واجب وذلك لعدم تفكرهم باستقلال فى أساس هذا الموضوع الهام (أو لم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق وأجل مسمى) بل لعدم بحثهم ولاحتكار فهم الدين من أفواه العلماء ولو على غير حقيقة قد ارتبكوا فى فهم هذا الموضوع عدة قرون ارتباكا محزنا للنهاية ! ! . . مع أنك تجد أفكارهم وطبيعة ضمائرهم فى حيرة دائمة واندهاش من هذه النظرية المعكوسة . وما ذلك الا لعدم تمكنهم من فحص حقيقة هذا الامر البديهى الذى احتارت فيه العقول مع سهولته الكلية وايضاحه بالقرآن العظيم فى كل سورة وآية . . . اذ الحقيقة التى لاريب فيها ان كل شئ يعمله الانسان مهما كان طيباً أو رديئاً أو أى شئ يحصل فى الارض والسماء مهما تنوع ومهما تقلب . . حقيقة مكتوب مع نظامه وكيفية تنفيذه فى أم الكتاب ولكن لا تخصيص فيه لاحد بالذات قبل ايجاده فعلا بحيث أن الانسان حر فيما يفعل وما يختار وهو قد خيره الله دائماً فى هذه الحياة بين ضدين لا يمكن

الجمع بينهما فى وقت واحد (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) والله تعالى يمده بالاصابة حسب النظام المسنون فى أم الكتاب طبقا لما سير نفسه فيه بحريته وليس طبقا لما هو مكتوب له بالذات اذ لا شئ فى أم الكتاب يخص انسانا بالذات قبل أن يختاره لنفسه في هذه الحياة بمطلق حريته غير انه اذا اختاره كان له جزاؤه وكان له بالذات أيضاً فيكتب له أو عليه فى صحيفته الخصوصية وينفذ عليه النظام الذى يلحق مثل العمل الذى اقدم عليه بتمام اختياره فهو كدستور مسنون وان تنوع بتنوع الوسط والواقع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقد تتشابه أفراد فى اختيار عمل واحد فينفذ الله تعالى جزاءه على كل منها طبقا للقدر العام أو الخاص المكتوب فى أم الكتاب عن مثل هذا العمل كما ينفذ القاضى مادة (كذا) من القانون على شخصين قد ارتكبا جناية واحدة فى ظروف مختلفة كل منهما بمفرده فيقدر الجزاء ويعطيه لكل منهما طبقا لمادة واحدة أيضاً ثابتة لا تتغير (وهى آيات القرآن المحكمات) فى القانون المذكور . . وان القرآن العظيم فى قدر الله تعالى العام أو الخاص على الافراد والامم يؤيد تمام التأييد هذا المبدأ الحق فى أغلب آياته الحكيمة كالآية : (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم) وكقصة شعيب عليه السلام عند ماأرسل رسولا من الله تعالى لاهل مدين فى قوله : (وياقوم لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود . قالوا ياشعيب

مانفقه كثيراً مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال ياقوم ارهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيـط . وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون . من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخـذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) ..فيتضح للقارئ من الآيات السالفة ان الله تعالى يذكر ان الرسول شعيب عليه السلام كان ينذرهم بتطبيق انتقام الله تعالى لهم وتقدير الزوال عليهم من الارض اذا أصروا نهائيا على ماهم فيه من الفساد فى الارض والـكفر كما أوقع نفس هذا الجزاء على غيرهم بالمثل تماما كقوم نوح وهود ولوط وصالح إذ بعـد أن وصل لهم هذا الانذار الحق أصروا نهائيا على الـكفر فاهلـكتهم الصيحة وقيـل فيهم : (فبعدا لمدين كما بعـدت ثمود) أي بنفس الجزاء السالف الذى وقع على الامم الاخرى وهو الانتقام بالزوال من الارض بلا تغيير وان تواجد كل منهم فى وسط مخصوص فنتيجة الاصابة بالقدر والجزاء واحدة هذا من جهة .. ومن جهة أخرى .. فان الله تعالى لسعة علمه كتب لـكل مخلوق أنواعا لاحدّ لها من الأعمال من جهتين متضادتين فى الايمان والـكفر أو الخير والشر في أى وسط وحالة يتواجد فيها وجعله حراً مطلقا ليوقع باختياره الحر مايريد لنفسه منها ليكون فى عالم الشهادة ويترك منها ما يشاء ليكون فى علم الله الغيب وليكون بعد اختياره مسئولا

مسئولية تامة عن كل عمل يأتيه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

. فاذا قلنا ان الله تعالى لا يعلم مايريد الانسان لنفسه من كل ما هو مكتوب فى أم الكتاب قبل أن يوجد فعلا فى هذه الحياة الدنيا هل يكون هذا القرار شبهة لتعريضنا بنقص علم الخالق سبحانه ؟ . . . . الجواب كلا . . . وألف كلا . . ذلك لا يوجب التوهم نقصا فى علم الخالق سبحانه مطلقا . . . لان كل ما يمكن لهذا الانسان اختياره وعمله أوما يصاب به طبقا لاختياره معلوم الله تعالى قبل ان يوجده . . . ولكنه تعالى لم يخلقه أيضا الا لعلة وحيدة فبعد أن منحه العقل أوقفه أمام أم الكتاب فى هذه الحياة بعد ولادته نظيفا ليختار منها مايتراى لنفسه وبحريته من كل ما هو معلوم الله تعالى من قبل . . تحت مراقبة الله المقيده . . لان المكتوب متنوع كثير جداً « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » . فيكون ما اختاره الانسان بحريته معلوم الله تعالى قبل ان يخلقه بلا تخصيص لهذا الانسان قبل وقوع اختياره ومعلوم لله تعالى بعد اختيار هذا الانسان انه كتب له أو عليه فى صحيفته الخاصة . . فهل تكون حرية الانسان فى العمل والاختيار فى هذه الحياة إذ ذاك عرضة للتوهم بنقص علم الخالق ؟ . . . حاشا وكلا . . . حاشا وكلا . . فعله الرقابة الالهيه فى الدنيا التخصيص وحده لكل عامل . . ولو لم يخلق الله تعالى العالم ليمنحه حرية كاملة ومعها العقل ليجئ خاضعا لذاته العلية بالالوهية بتمام الحريه والحق لكان هذا العالم باطلا واجب العدم

حتما ولا كان لزوم للفناء ولا كان لزوم للخلق المقبل .. فى الحياة المقبله ولا ... ولا ... ولا ... . اولم يتفكروا فى انفسهم ماخلق الله السموات والارض الا بالحق وأجل مسمى ؟ ... الحق هو « الحرية المقدسة » للمخلوق فى العبادة ومراقبة الله التامة لكل نفس فى هـذه الحياة الوقتية ليضمها بعد فيما اختارت لنفسها من سعادة وشقاء (وما الله يريد ظلما للعباد) قد يقال : ان علم الواقع من الاعمال غير العلم بالمعدوم الذى لم يختره الانسان ولكن هذا العلم عند الله وحده سوءا بلافرق ولا تغيير وعلى هذا البيان السالف يمكننا ان نكرر أسئلتنا للعقل ثانيا مستفيدين بالقرآن الحكيم فنقول : هل الله تعالى يعلم كل ما سيصيب كل الناس والمخلوقات من الجزآت المختلفة وتقلب الاحوال والحوادث المتنوعة قبل ان يخلقهم وكذا كل عمل يمكن للانسان عمله مهما كان ؟...فالجواب على ذلك بالطبع نعم . قال تعالى : « وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات البر والبحر ولا رطب ولايابس الا فى كتاب مبين » . وقال تعالى : « عالم الغيب والشهادة » . وقال تعالى:ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا في أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . ـ فبمقتضى هـذه الآية يذكر الله تعالى ان كل حدث فى النفس والارض يعلم به تعالى بل وكتبه قبل ان يوجد الخلق طبقاالماسبق ايضاحه . وان الواقع من كل انسان باختياره الحر والمعدوم من المكتوب لكل انسان على كثرة انواعه المتضاده متساويان فى علم الله وان عجز عن ذلك فهم الانسان

(٦)

قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فالله تعالى يصرح فى القرآن بنفسه بانه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب فى الايمان إلا بعد أن يفتنه ويجربه ويمتحنه بالفتنة فى هذه الحياة ليعلم منه قوة الخيار فى الايمان والثبات فيه أو التزعزع عنه بمطلق حريته الممنوحة له من الخالق طبقا لما سبق من البيان ولذلك قال تعالى أيضاً فى آية أخرى « وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو فى شك منها وربك على كل شئ حفيظ » أى انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة ليحور ارادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر. بل هى وسوسة فقط ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » أمرها بسيط لا تأثير منها وممكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان إلا ليجعلها من ضمن الفتنة والامتحان اللازم ليعلم منها تعالى من يؤمن بالآخرة ممن هو فى شك منها وهذا هو الفرض الأول من الوجود والخلق

وقال تعالى فى آية أخرى « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا أيضا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على

عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة من بيت المقدس الى الكعبة إلا بعد حصولها . — فهنا لا يتوهم كما سبق الايضاح ان الله تعالى خرج عن علمه شئ . . كلا بل كل شئ قبل الخلق مسجل . والله تعالى يعلم ان ماخلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم به أن يتبعوا الرسول بمطلق حريتهم التى منحهم بها ويعلم من الجهة الأخرى أنه يمكنهم أن لا يتبعوه جميعاً بمطلق حريتهم وفى آن واحد يعلم بالنتيجة التى سيجازيهم بها وتصيبهم فى الحياتين ان تبعوه ومن الجهة الاخرى يعلم من قبل أيضا بالنتيجة التى سيصيبهم بها فى الحياتين ان لم يتبعوه غير أن هذا العلم المطلوب الجديد هو علم ارادة كل منهم الى أى جهة يرغب السير بمطلق حريته ليمده بجزاء ماأراد بلا اجبار عليه فى اختيار مايريد ويتبع . وذلك كما تقول لرجل يختار نوعا من عشرة أنواع متضادة أمامه .

فالعلم الحديث لله بالمختار من كل المعلوم له المكتوب الكثير الانواع المختلفة والمتضادة من قبل لايتم إلا بمراقبة الله التى لا تغفل لغرض أن يتأيد ذلك للانسان له أو عليه ويختص بنتائجه فى الحياتين خيراً أو شراً (وما تكسب كل نفس إلا عليها) وما الله يريد ظلما للعباد .

فاذا فرضنا المستحيل كما يدعى بعض علماء الضلال من أنه تعالى كتب لبعضهم أن لا يؤمن بالذات وبالاسم فى أم الكتاب كما يقولون . . فلماذا يمتحنهم ؟ . ولماذا يوضح الغرض من امتحانه ؟ . وهو انه تعالى يريد أن يعلم من سيثبت فى الايمان ومن الذى سيتزعزع عنه ان كان هناك من الأصل انقسام ثابت سبق له تعالى العلم به لكل شخص منهم ؟ ! أليس

ذلك الكلام الأخير القرآني يكون باطلا ورياء ! ! . . . وهل القرآن الحكيم باطل ؟ . . . فلنترك ذلك واذا كان لابد من حصول الارتداد بالفرض وضياع الايمان كما وقع فعلا ممن قد تزعزع منهم كما يتوهم المخرفون بانه مكتوب سابق لهم بالذات من القدم ! ! . . لماذا يوضح لهم بعد ارتدادهم وضياع إيمانهم هذا انه تعالى لم يرد بهذا الامتحان ضياع ايمانهم كما أضاعوه بحريتهم في قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » أى بهذا الامتحان بل كل مايريد لهم أن يتثبتوا فيه الى النهاية لأن فيه رحمته ورأفته الابدية ! ! . . . اما ذلك يؤيد أيضا بلا شك أن ضياع ايمانهم وكفرهم ليس سابقا لهم بالذات فى أم الكتاب قبل أن يفعلوه كما يدعى بالعكس أولو الضلال وانهم فى الحقيقة بحريتهم أضاعوا ايمانهم ! . . . . وهل هذا يليق بالإله الواحد الرؤف الرحيم أن يتخذ عباده ألعوبة فيخاطبهم بلسان الرحمة بقوله « وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم » ثم هو يعاملهم وينفذ عليهم شيئا ثابتا لامفر لهم منه كتبه بالذات لكل فئة فى أم الكتاب من أن هذا بشخصه مؤمن وذاك بالذات كافر ! ! ! اذا . . مافائدة منح العقل في هذه الحياة ! . . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . . . ان الله تعالى خالق جميع الناس بلا استثناء متساويين فى الفطرة الروحية قبل أن يتشكلوا في بطون امهاتهم بشكل الانسانية الجسمانى مفطورين على الايمان الخالص والاعتراف بوحدة الخالق والوهيته الحقة حتى انه تعالى أخذ من جميع الأرواح عهدا وميثاقا على أنفسهم بالايمان له تعالى بالربوبية كما فى قوله تعالى : « واذا أخذ ربك

من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ .. قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » : — فهو يقول تعالى « من بنى آدم » دليل على عدم استثناء ذرية الوثنى واليهودى والمسيحى والمسلم والدهرى والكافر والمجوسى الخ ... بل كلهم أجابوه سبحانه جوابا واحداً بقولهم : بلى ... أى نعم أنت وحدك ربنا الحق لا إله غيرك ... أفهل اذا كان كتب لبعضهم شيئا فى أم الكتاب خاصا لكل نفس قبل وجودهم بأن هذا كافر وذاك مؤمن ان يقول جميعهم لربهم : بلى ... بلا استثناء اظهاراً لتمام الايمان من الجميع وهم فى حال الفطرة الروحية والبساطة ؟ ... أم ان ذلك يثبت بلا شك أيضاً أن لا كفر إلا فى هذه الحياه « حياة الحرية والاختيار » !

ولماذا يذكرهم الله تعالى بقوله : « ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » أى أن تقولوا عن هذا الاعتراف بالايمان بربوبية الخالق فى الحياة الدنيا غافلين ؟ . أما لأن الغفلة عن الايمان بالله تعالى لا تكون إلا بعد حريتهم فى هذه الحياة التى منحهم الله تعالى بها وليقدموا أنفسهم لربوبيته تعالى بالايمان مخلصين وانه تعالى ما تركهم يكفرون بأنفسهم إلا لعلة لزوم بقائهم أحراراً فقط عليهم بحريتهم أيضاً يتوبون ويرجعون !!! لا ابالغ اذا قلت ان الانسان يزرع نفسه في هذه الحياة ليكون كما كيف نفسه فيها فى الحياة المقبلة الابدية ... كل ماسبق واضح بين له شواهد عديدة فى القرآن العظيم وان الله تعالى لم يجعل الخلق على مثل هـذا النظام إلا ليضع كل انسان نفسه فيما يريد . وكفى الانسان العقل والمواهب الالهية المديدة

التي بها يمكنه أن يكون في أحسن مركز أو في أتعس مركز : — « إن الانسان بعمله في هذه الحياة سيخلق خلقا جديدا طبقا لعمله تتأبد فيه نفسه طول الابدية المقبلة بيد الخالق . . فليضع الانسان نفسه في هذه الحياة بحريته وبأعماله الجليلة في وضع يرضى روحه الطاهرة النقية فانها كذلك سترضى وتسر في الابد » وليحذر من ضد ذلك فالفرصة لا تعود أبداً .

ولأجل ذلك جعل الله تعالى من ضمن نظامه العام أن يكون المخلوق وما يعمله مستوف كل المراقبة « ان الله كان عليكم رقيبا » حتى يقدر تعالى للنفس إلا ما أرادت بحريتها وعملت قال تعالى « فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » وكذا « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقال تعالى أيضا : « فما تكسب كل نفس الا عليها وما ربك بظلام للعبيد » هذا بخلاف الملائكة المعينين لكتابة كل شيء الانسان وعليه . « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون » حتى التلفظ بالكلام مهما كان بسيطا « مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » وهكذا حيث ان آيات الله تعالى كثيرة تؤيد هذه المبادئ الحقة العادلة المعقولة .

وبعض من الناس يعترضون على ربهم لرؤيتهم أمورا يتوهمون انها ظلم لم يقع الا لمشيئة الخالق (سبحانه) . . . مثلا : رجل رأى طفلا مرض مرضا شديدا يتألم منه أشد الالم فيقول : ما ذنب هذا الطفل المسكين وماذا ارتكب من الجنايات حتى يعذب هذا العذاب الشديد ... أو رجل

سائر في الطريق حسن السيرة فقير وله أولاد كثيرة اذ سقط عليه حائط فمات لساعته وترك اطفالا يتوجعون من بعده أشد الآلام .. فيقول ما ذنب هذا المسكين وما جناية هؤلاء اليتامى ؟ ... أو ... أو .. وهكذا ولو أردنا حصر الحوادث العالمية لرأينا الوفا من المعترضين قائلين بتبرأة مثل هؤلاء معترضين بقولهم ان كان هناك لاجزاء الا بالعمل الخاص فما ذنب هؤلاء ...... الخ

فنقول : وان كان ثبت للمطالع ان حرية الانسان في كل مايعمل أمر مقدس لازم فان بواطن المخلوق للناس مجهولة حتى نستنتج دائما عللا صحيحة عما يصيب الله تعالى به كل فرد في العالم فضلا عن ان حرية الله تعالى الخاصة في تنفيذ ما كتبه على نفسه من الرحمة العامة على جميع الخلق أمر اشد لزوما من كل شيء وان كان فيه ظاهر انوع تعويض لحرية بعض الافراد وارادتهم . ولنضرب مثلا : بنت الحكومة مدينة وسنت في قانونها انها عند اللزوم تنزع ملكية بعض الاراضي من أربابها لامر صالح عام في تلك البلدة . ـ فاذا فرضنا انها رغبت في انشاء شارع أو حديقة لازمة لحالة البلد الصحية في موضع كان فيه منازل بعض الافراد الذين لا يرغبون انتزاع أملاكهم فانها تنفذ ذلك رغما عن ارادتهم مع تعويضهم عما فقدوه بما هو أحسن منه فلا يكون هناك ظلم لهم الا رحمة بهم ان أدركوا الحقيقة وباهل المدينة عموما وأن اعتراضهم على ظلم الحكومة لمجرد سيرها ضد رغبتهم الشخصية جهل منهم وبالصالح العام الذي تقدسه الحكومة مع كونه أحق وأوجب .

فهكذا الخالق سبحانه بلا تمثيل . . . . فاذا رأينا طفلا لم يكتسب اثما مرض مرضا شديدا يعذب منه عذابا مؤلما ثم مات . . . فلا يجب أن نعترض فلا بد ان مثل هذا له عوض فى الآخرة يرضيه وهى التى رحمها الله تعالى فى رحمته تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » التى كتبها على نفسه ويعدها على عباده ويكون مرضه من المحتمل فتنة لوالديه أيضا ليتضرعان الى الله تعالى ويفتكر انه فيغفر لهما بالتضرع بعض ذنوبهما . اذ لكل حدث نظام وجزاء أو قد يكون موت الطفل سببا لاستقامة والده الفاسق أو والدته « انما أموالكم وأولادكم فتنة .) بل قد يكون هذا المرض جزاء للطفل على كفره فانه حر أيضا فى الايمان والكفر من بعد لحظة نزوله من بطن امه على نسبه تركيبه وان كان غير كامل فى العقل فيكون هذا المرض القليل الزمن الذى توهمناه من الخالق ظلما سببا لرحمة ثلاثة أشخاص آمنين رحمة ابديه

ونحن لا نقصد بما ذكرنا ان ندعى العلم بالغيب أو بواطن الامور لنوضح علة كل حادث . فان من أساس نظام الله تعالى ان أغمض البواطن عن كل نفس الا لقصد حق عادل « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » وذلك لفرض حقيقة الاختبار والفتنة حتى يكون ذلك داعيا لحفظ الحرية لكل انسان فيما يفعل ولا يتقيد بما يتوهم انه سيصيبه بسبب ما « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ان الله بالناس لرؤف رحيم » : — إذ لو كشف الله تعالى لعقولنا علة كل سبب أو حدث يحصل بمشيئته بلا سبب واضح لنا لتأكدنا عدل الخالق المطلق ورحمته على الجميع بلا استثناء فالفائز من صبر

على كل حال وشكر . إذ أن ذلك هو الغرض من الحياة . قال تعالى : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) وعلى ذلك اذا وجد الانسان اقداراً فى حياته وقعت ولم يعرف أسرارها وأسبابها فليس من الضرورى تأويلها بالظن خصوصا اذا فهم بنفسه منها شيئاً يمس كرامة الله تعالى العليا بلا حق ومن هذه الناحية كان الحديث اذا ذكر القضاء فأمسكوا والامساك هنا مايؤخذ منه نسبة عدم العدالة الالهية أومايشتم منه رائحة نسبة أى شئ غير لائق لله سبحانه وتعالى بجهل فان ذلك أليق لكمال الله الذاتى . . والامساك عن التأويل الغير لائق أليق بالمؤمنين المخلصين (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنا اليه راجعون) .

وعلى كل حال فلنتأكد أن الله تعالى لاينفذ شيئا من تلك الحوادث المدهشة التى تحيط بنا بغير سبب ما أو بما ليس له علاقة بأعمالنا الحرة الخصوصية . . . كلا . . . بل لابد أن يكون من نتيجتها ولازم لها بالحق وليس مطلق عمل وان كانت علته مؤقتا لنا مجهولة ،

ولنذكر هذه القصة القرآنية الآتية تنبيها للعاقل بما توضح ولينا كد ان نظام الله تعالى الخاص بنفسه ليس إلا لمطلق الرحمة وان غابت أسبابه عن البصائر . قال تعالى عن موسى عليه السلام ومعه فتاه عند ماتقابلا مع عبد لله مؤمن : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا الخ

فهذا نبى من الأنبياء لم يصبر ولا مرة واحدة من الثلاثة حتى

اعترض على ذلك الانسان الذى كان يعمل تلك الحوادث الظاهر خارجها ظلما مع عدالة بواطنها بأمر الله تعالى خاصة ليعلم الناس من مثل هذه القصة ان الله تعالى فى مثل تلك الأمور المجهولة أمامنا لا يقصد بها التعريض للحرية المقدسة لأى شخص فيما يفعل بل قد تكون فتنة عادلة لزيادة الرحمة على الجميع . وإذا فلتمكن (الحرية) المحترمة عند الخالق و(الاخلاص) لله تعالى مهما تقلبت الامور والحوادث والعزم على (العمل) الصالح المفيد بثبات مهما تنوع : (شعار المسلم المقدس)

إن نظام القضاء والقدر لم يك إلا لاطمئنان النفوس وعدم خوفها وكتابة الله تعالى لكل شئ قبل الخلق لم يك إلا لزيادة الرحمة على المخلوقات لتقدم على كل عمل غير خائفة ولا حزينة . فان الثقة بعدل الله تعالى وحسن نظامه فى كل مايعمله الانسان وتأكد الانسان بانه لا توجد يد أخرى عاملة فى الجزاء فى الدنيا والآخرة غير الله تعالى ثم علم الانسان بأن الله تعالى لا تفوته الصغيرة والكبيرة بمراقبته الخاصة وانه لا يصاب بشئ فى الدنيا والآخرة إلا بمقدار ماعمل . وان هذه الحياة ليست خالدة بل جعل الايمان فيها ثمناً للحياة المقبلة الفائقة فى الجمال . . . كل ذلك يسهل على الانسان أن لا يترك لحظة صغيرة فى هذه الحياة من غير أن يعمل فيها مايرفعه درجة فى الآخرة (ولكل درجات مما عملوا) مع تحفظه على الايمان والشكر . وان ثقة الانسان بالله الخالق فى كونه يعطى بالضبط بقدر العمل فى الدنيا والآخرة (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) حسب النظامات السالفة مما يجعله فى حركة مستمرة فى هذه الحياة لا تقف ولا

تفمض مطلقا .. وان يترك سفاسف الامور ولا يطلب ولا يعمل إلا للحصول على مايؤبد له المجد والشرف فى الدنيا وحسن الجزاء فى الآخرة

القضاء والقدر من أول الامور التى تجعل النفس تقدم على جلائل الاعمال العظيمة لا يعوقها شئ مطلقا فان الحياة جعلت ميدانا واسعاً للجميع بلا استثناء وقد جعل الله تعالى نفسه رقيباً على أعمال الجميع وهو الذى يعد كل انسان بالضبط حسب ماعمل

ومن الأسف الاكبر بل من العار العظيم - بل من الخجل المحزن والأثم الفظيع ان يقلب بعض العلماء موضوع القضاء والقدر قلباً كليا بطنا لظهر وقالوا باوهام لاوجود لها فى القرآن الحكيم مطلقا ولا فى العقل ولا فى العالم . — فتوهموا وكذبوا على ربهم وظلموا أنفسهم بتوهمهم ان معنى القضاء والقدر هو ان الانسان مكتوب لذاته شئ مخصوص لايحيد عنه شعرة ولا يزيد ولا ينقص . أو ان الانسان وأعماله وحركاته خلق لله بلا اختيار ذاتى ... أو ... أو ... فتبا لاولائك الضالين ... تبالهم ألف مرة ماأعمى قلوبهم عن الحق الخالص فقد أوقعوا الأمة الاسلامية فى هاوية عميقة . فلبئس مايقولون !! ... ان هم إلا يظنون. ان كثيراً من الناس يقيدون عقولهم ولا يطلقون جيادأفكارهم فى العلم بما يملى عليهم حرية الضمير والعقل السليم باتباع الآراء الصحيحة النافعة كالسنن الشرعية والأوامر الالهية التى تطابق الفطرة الطبيعية في الارتقاء بتوهمهم قدر الله فى كل شئ معكوسا حتى نسبوا للدين مايبعد عنه الدين .

واذا كانت هذه الاوهام المضلة متسلطنة على جميع الامم الاسلامية

الى إن كانت سببا في خمولهم وتقييد عقولهم وعدم استنباطهم شيئا جديدا فى العلم حتى غرب العلم عنهم وكاد يتبرأ منهم . ـ وحتى تربت فيهم ملكة الكسل والخمول فى كل شئ فاستوى بذلك كل الطبقات علما وعملا وقولا لاعتقادهم فى القضاء والقدر اعتقادا زائغا عن الحقيقة . ـ ولو رغبنا ان نقابل بين الامم الاسلامية وبقية الامم الاخرى الراقية فى المدنية بنشاطهم وحسن أعمالهم لرأينا فرقا عظيما وبونا شاسعا . ـ وهذا والله مما يفتت الاكباد ويذيب الفؤاد ويجعل الانسان فى حيرة واندهاش مستفهما : هل هذا الدين الحنيف هو الذى أسبل عليهم هذا الجهل والتأخر كما يتهمهم بعض الامم أم أنفسهم الامارة بالسوء هى السبب فى اضمحلالهم وتقهقرهم لنسبتهم للدين أمورا ليست منه فى شئ ويقولون نحن نسير بالدين ؟ ....

تالله لو سألتنى عن ذلك لاجبتك ان الدين برىء من التأخر شديد التمسك بكل ماهو أحسن . ولو قسنا تقدم كثير من الامم فى سبيل العمران والعلم والميل الى العدل بين أفرادها والمساواة والحرية الفعلية وتأسيس المشروعات الهائلة الوطنية والخيرية التى ترفع شأن بنى الانسان والحث على اقتناء العلم والعمل الصالح لقلنا ان ذلك هو من دين الاسلام وروحه التى يدعو اليها والغرض الصالح الذى يعمله كل من آمن بالله واليوم الاخر

ان المرء ليحار اذا أراد أن يوفق بين ماتعمله الامم الغير اسلامية من مجد باذخ وعمل صالح وبين مايعمله المسلمون من الانشقاق وانغماسهم فى الاوهام واللذات حتى اضمحلوا بهذه الصورة مما يتبرأ القرآن منه كل

مبراء . – ولو تأمل الانسان قليلا الى هذه الاحوال المكدرة لوجد لها أسبابا كثيرة تأصلت فى نفوس القوم من جهلهم نظام القضاء والقدر حتى ظلموا أنفسهم بنسبة مالا يليق الى الله والدين « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا » والعلماء لاشتراكهم مع العامة فى هذا الفهم المختل لا يبحثون ولا يتدبرون القرآن لاستخراج العقائد الصالحة الظاهرة كالشمس لتستقيم أحوالهم ويأمنوا على دينهم القويم الباهر (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » ان فهم القضاء والقدر مقلوبا زاد فى خمول الامة وجمودها . فاذا سرق أحد العامة من المسلمين شيئا وضبطه العدل وسيق للسجن وسألته عن سبب سجنه لاجابك بان الله تعالى ساقه اليه و قدر عليه هذا السجن لشخصه وهو نطفة فى بطن أمه وقبل أن يعمله مع أن الله تعالى يتبرأ من عمله وكلامه : – ولولا اقدام نفسه الشريرة على ارتكاب هذا الجرم لما قدر الله عليه شيئا مما وقع فيه : –
واذا سألت مدمن خمر لم تتألم من صحتك . . . ولم تشرب الخمر ؟ . . لاجابك بان الله تعالى قدر عليه شربها لشخصه قبل أن يخلق العالم ولا مفر من ذلك . فذلك الشرب مكتوب على جبينه كما يقول ذلك جميع المسلمين من رجال ونساء خصوصا عندما يعملون أى عمل تهان به الفضيلة أو تداس به العفة تحت الاقدام . فانتشر بذلك الفساد بين طبقات الأمة وقد يحترم المجرم الاثيم أحيانا لاحتمال أن يكون قد كتبه الله تعالى قبل ايجاد الخلق من أهل الجنة سعيداً ممن قد يكون مستقيما صالحا لاحتمال ان يكون قد كتب الله تعالى له الشقاء من الأزل . فتساوت الفضيلة والرذيلة فى أعين

القوم حتى انتشر فساد الاخلاق فى الجميع . فاذا اعترض عاقل على عمل ما . . . رجع الجميع الى سلاح الدين الماضى . . . لاتعترض فذلك ماقدره الله لنا فى أم الكتاب قبل أن يخلق العالم وليس لنا خط سير آخر فى علمه!! وهل ذلك حقيقة فى الدين كما يدعون ؟ . . ام للانسان طرق عديدة صالحة وطالحة ياخذ منها لنفسه ماشاء بحريته المطلقة . . ؟ اذا كانت الامة تسير فى هذا البحر المظلم الهالك بلا تأمل وتفكر فانهم يسيرون مجدين خلف قادتهم من الائمة العلماء الذين وضعوا تلك المبادئ بجراءة غريبة

(٨)

٪ يقول الامام عز الدين بن غانم المقدسى المتوفى سنة ٩٧٨ هجريه عن هذا الموضوع بما مؤداه : ان الله تعالى له أمر بالكلام وارادة للفعل فقط ثم هو قبل ان يخلق الناس قسمهم هذا للجنة والسعادة والعمل الصالح وذاك للنار والشقاء وعمل الفساد . فاذا وجدوا فى هذه الحياة وابتداء الشقى ان يقتل مثلا أو يزنى أو يسرق فيأمره الله بالكلام فقط لا تقتل . لا تزن . . لاتسرق ولكنه فى آن واحد يجره بقوته الخفية الى ان يقتل أو يزنى أو يسرق لعلة انه يستحيل أن يفعل غير ذلك لانه مكتوب قبل وجود العالم شقى للنار والامر الذى يقوله الله تعالى له فى الدين والقرآن : لا تقتل . لا تزن . لاتسرق ليس الاصورة بصفة حجة ظاهرية فقط لاتأثير منها ولا فائدة فى منعه عن القتل . أو السرقة أو الزنى حتى قد يجوز اذا كان عمل أعمالا طيبة صالحة الى النهاية وكان مكتوبا من الاشقياء (كابليس) فهى لا تنفعه مطلقا وكانها فى هباء . وبالعكس أى اذا كان

مكتوبا له السعادة وارتكب أعظم الآثام فلا نؤثر فيه فكل انسان يسير الى النقطة المقررة له من الأزل . فخلاصة مبدأه : إن الله تعالى له أمر بالقول فقط لا يعتد به بازاء حقيقة ما يفعله بالارادة فهو النافذ الواقع لامحالة رغم أنوف الناس لا ينفع العقل ولا الحيلة فى الخلاص منه مطلقا وكأنه تعالى بذلك يفعل بقوته الالهية مالا يقول ثم يقول مالا يفعل . . . واذا تأمل العاقل لمثل هذه التهمة الشنيعة ضد الخالق حكم من أول وهلة ان المتصف بها من أول الكذابين . . . بل من أول الغشاشين المخادعين بل من أول الظالمين قال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) . . . وهل هذا الوهم السحرى له حظ من الحقيقة ؟ . . . وهل ذلك يا الهى . . : يليق لمقامك الاسمى ؟ . . . حاشاك بالأرفع مقامك وما أرحمك على الجميع (اللهم قونى لبيان آياتك ومقامك الاسمى للناس أجمعين) . . . من البديهى ان الانسان الذى يقول أقوالا ثم يفعل بضدها ليس إلا أن يكون مسلوب العقل بالمرة أو يكون غشاشا كذوبا . . . فلننظر الى المجانين الذين بالمارستان نجد من بعضهم أقوالا مفيدة حسنة ثم يدفعهم الجنون الى ضد ما قالوا عملا . . . أو قد يطلب تلميذ من والده التوجه الى مدرسته ويصرح لوالده بضرورة التوجه اليها ثم بعد مفارقته له يتوجه الى أحد محلات اللهو والرزيلة . . . ألم يغش هذا التلميذ والده ويكذب عليه لأنه قال لوالده قولا ثم هو عمل عملا آخر يخالف أقواله ؟ هذه أمور بديهية لاشك فى حقيقتها ! .

قال هذا الامام المسلم الذى تتخذه الأمة وأمثاله رئيسا مقدسا

معمولا بكلامه في كل مايقول عن هذا الموضوع فى كتابه المدعو (تفليس ابليس) صحيفة ٤ بخصوص التقسيم السالف عن ارادة الله تعالى فى الفعل وأمره بالقول ماياتي : « فالآمر يهب . والارادة تنهب . فماوهبه الآمر نهبته الارادة . الآمر يقول افعل والارادة تقول لا تفعل) اه فهو يقصد بذلك ان الله تعالى يهب الأمر لرجل كتب له الشقاء قبل أن يخلقه وهذا الأمر فى القرآن بقوله له : لا تقتل عند مايدفع الى القتل ولكن فى الحقيقة هذا القول لا فائدة فيه ليس له علة لفرض المنع المفهوم من معنى النهى عن القتل لأن لله تعالى شئ آخر يسمى القدرة والارادة بخلاف هذا القول يعجز هذا الرجل ان يقاومه عجزاً مطلقا وهو ان يجره الله تعالى حتما الى أن يفعل هذا القتل بقدرته الالهية . . . . ثم يقول هذا الامام المسلم . . . ان الله تعالى له حجة قوية على هذا الرجل يوم القيامة عند مايعذبه في جهنم . . . وما هى هذه الحجة ؟ هى انه أمره فى القرآن بهذا الامر يقوله : لا تقتل . . . . فاذا اعترض هذا المسكين طبقا لهذا الامام المسلم فى مبدئه من أن قوة الله الخفية وهى الارادة التى يقول عنها هذا الامام هى التى جعلته يقتل بما يعجز عن مقاومته عجزا مطلقا . . . . . وقف هذا الامام فى وجهه وقال له : اسكت لا تتكلم ولا تتفوه بعد ذلك بكلمه . . . الله يفعل ما يريد فلا تسئله عن ذلك (لا يسئل عما يفعل) فيخرس هذا المسكين مضطربا عقله فيموت شهيدا أسرار التضليل فى الدين . » فليحملوا أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساءمايزرون » فاذا رفع رأسه عاقل حر نقاد واستفتى هذا الامام المسلم بقوله : وماالسبب

فى ان يصدر أوامره فى القرآن بالعمل أو النهى أليس ذلك لعلة معقولة ؟ . . أجابه هذا الامام الذى تقدس مبادئه الامة فى صحيفة (٣٨) من هذا الكتاب بقوله : فى الحقيقة لاعلة لاصره . . فاذا تأمل هذا المستفتى قليلا بثاقب فكره لهذا الجنون وسأله ثانيا بقوله : وهل يقول الله تعالى أمراً بلاعلة معقولة كما تقول؟. ثم هو بعد ذلك يتخذه أيضا حجة وسببا ظاهريا يوم القيامة فى عذاب هـذا المسكين فى الجحيم مع أن المفهوم الآن من هذه المبادئ انه جره بقوته وارادته الفعالة الى القتل وسيجره بمثلها الى الجحيم بمالا يمكنه أن يقاوم فى شئ أو يخلص حتى ولو عمل كل الفضائل ألم يك فى الحقيقة الخالصة المعقولة ان ذلك الرجل سيعذب بلا سبب من نفسه صريح واضح ؟ . . فماذا يجاوب هـذا الامام المسلم ؟ . . يقول فى صحيفة (٣٩) : فله أن يعذب بلا سبب (أى الله) وأن يسعد بلا نسب ولا مكتسب . . . الى أن يقول . . لايسئل عما يفعل ! ! ! فهل ذلك حقيقة فى الدين كما يدعون ؟ . فلهذه الاكاذيب الضخمة . . ولهذه الاوهام الجنونيه وضعنا علم القضاء والقـدر الحديث .

يقول الله تعالى فى القرآن الحكيم عن أمره أنه مقرونا بالارادة فان أراد شيئا قال عنه صريحا فالارادة منطبقة على القول كما أن القول مطابق للارادة واذا أراد الله تعالى أن يأمر عبدا لاطاعة أوامره بمطلق حريته التى ملكه لها فليس معناه بعد ذلك أن يضطره على نتيجة الامر اضطرارا فلكل ارادة وأمر غرض ترمى اليه ولانطباق الامر مع الارادة عندما يريد تنفيذ شيء وجب وقوعه حقاً أو خلقه قال تعالى فى الآية : « إنمـا قولنا لشيء

اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » مما يدل على انطباق القول مع الارادة انطباقاً متلازما . وأما أوامره تعالى فى القرآن فليست الا للتذكير فقط حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قال تعالى للناس لا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق فلا يريد من ذلك الا مطلق التذكير حتى اذا اعتدى أحد بجريته وقتل نفساً بلا حق نفذ ارادته تعالى من حيث جزاءه بالجحيم وتلك الارادة هى التى أعلنها للناس أيضا بقصد الانذار والتذكير وبمثل ذلك يقال عند ما يأمرنا بعمل البر والاحسان أو الايمان فكل عن نفسه مسئول .

وبخلاف ذلك فانه تعالى أنب فى القرآن ومقت كل مؤمن يقول قولا فيه فائدة ما أو عملا صحيحاً صالحاً بسيطاً من غير أن يقرن القول بالفعل بلا تردد وانتظار فقال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عندالله أن تقولوا ما لا تفعلون » .. فاذا كان تعالى يمقت كل مؤمن يقول قولا ولا ينفذه بمثل هذا المقت الاكبر فهل يصح للخالق سبحانه أن يقول أقوالا بلا علة لا ارتباط لها بأفعاله أو ان أفعاله لا ارتباط لها بأقواله ؟.. ألم تك تلك النقيصة هى نقيصة الكذب والخداع صريحا !! على هذه المبادىء التى تسير عليها الأمة الاسلامية خلف هؤلاء الأئمة .. اذا نظر رجل أخاه يسرق وكان هذا الأثم لا يمس الناظر فقد يتركه يؤدى عمله الفظيع لعلة ... انه اذا كان الله كتب عليه أن يقبض ويجازى فعل ... وربما اذا طلب الشهادة ضده لا يقول الحق لعلة انه اذا كان الله تعالى كتب له الاذية فسيمدها اليه من غير الشهادة .. وبذلك انتشر الكذب

بين أفراد الامة والباطل كما هو الحال فى الارياف والمدن بين أغلب الطبقات المصرية وأغلب البلاد الاسلامية .. وكذا المرأة قد يدفعها فقرها الى الخدمة ولكنها لاتقصد الخدمة الشريفة .. بل تبيع عفتها وتدوسها لا لعلة اضطرارها .. بل لعلة ان الله تعالى اذا كان لم يكتب عليها مثل هذا العمل القطيع منعها عنها.. واذا كانت لها الجنة من الازل فلا يؤثر هذا المنكر على حرمانها .. كما انها اذا عملت أشرف الاعمال فى خدمتها وكان ذلك فى امكانها فلا يفيدها شيء مطلقا ان كان الله تعالى كتب لها النار من الازل وبذلك انتشر الفساد بين طبقات الامة وبمثله الرجال أيضا في جميع الاعمال والاحوال وكم من حكاية خرافية منتشرة بين أفراد الامة يؤدى غرضها الى ان أكثر المفسدين ربما كانوا أرفع الناس مقاماً عند الخالق من أفراد مخاصين مستقيمين لتأييد مثل هذه المبادىء الوهمية ـ

بمثل هذه المبادىء اذا واجهت صانعاً مسلماً خمولا وسألته عن علة عدم اتقانه صنعته أجابك بأن الله تعالى ان كان كتب له أن يكون سعيداً بلا صنعة فلا مانع ولا فائدة من اتقان الصنعة واذا كتب له الفقر من الازل وأصلح صنعته واجتهد فيها مهما اجتهد فلا يفيده اتقانها شيئا. فيستمر فى موت الوهم حتى ماتت الصنائع وخمدت القرائح .. وبمثل هذه المبادىء الوهمية إذا واجهت تاجراً مسلما. وسألته عن علة عدم تحسين حاله باقدامه ونشاطه وحسن معاملته .. أجابك بنفس جواب الصانع .. ومثل أولئك جواب الغنى فى شحه ... والفقير فى كسله والزارع فى أرضه .. فانتشر الكذب وعم الفساد وفشت المحرمات وديست الفضيلة .. وضاع الشرف وفقد البر

والاحسان وكثر الحسد والانتقام فانهدم شكل الأمة وكادت أن تكون مع الهالكين وهذا الحال لا يختلف عند جميع الامم الاسلامية في نفس هذه العقيدة الكاذبة المقلوبة حتى ان بعض الافرنج الذين يجهلون القرآن وفضائل الاسلام اتهموا الدين الاسلامي بلا حق بأقبح ما يتصوره العقل من الذم والاحتقار لما يرونه ويسمعونه من جهلة المسلمين فقد قال المسيو (كيمون) الفرنساوى في كتابه (باتولوجيا الاسلام) : «أن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكا ذريعاً بل هى مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل الخ».. فهل يليق لأئمة الدين أن تكون نتيجة تعاليمهم في القدر سبباً لمثل هذه المطاعن السافلة ؟.. ولكن على مثل هذه النغمات الوهمية يضرب أغلب أئمة الاسلام وعلمائه في الدين وبها ملؤا آذان الامة من رفيع ووضيع بنثرهم وشعرهم حتى قال على مثل هذه النغمة عينها الامام وشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية فانه يقول نفس القول السابق للامام غانم مع أن بينهما ٢٥٠ سنة والاخير سابق للاول قال الامام بن تيمية :

فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من أهل الشقاوة لم يفل بأمر ولا نهى بتقدير شقوة

فهل كل هذه الادعاآت الباطلة ضد الله تعالى صحيحة وهل هى في الدين؟..

(٩)

ولمناسبة ما اتفق عليه بعض الأئمة السابقين عن الارادة الآلهية والانسانية نذكر كلمة عن الارادة :

فالارادة هي تخصيص المراد بحرية النفس واختيارها بنظام ما. سواء كان هـذا التخصيص للذات المريدة أو للغير بشرط القدرة على ترك التخصيص المذكور قبل حصوله ليكون بوقوعه جديداً أو حادثا – وعليه فـكل إرادة وقعت فهـلا تكون حادثة – فان كان هنالك دلائل تثبت امكان عدم القدرة على التخصيص المذكور من المخصص قبل حصوله انتفى معنى الارادة الى الاضـطرار – فأساس الارادة اذاً هو امكان السلب والايجاب فى وقت ما فى ذات المريد عما يريده . . ومثال ذلك !

إذا قلت أريد ملابسا بيضاء « لنفسى » فهذا التخصيص هو إرادة ذاتيـة للنفس – فاذا دلت الدلائل على أن لبسى ما أردته لا أقـدر أمنعه قبل هذا التخصيص انعدمت معنى الارادة الذاتية الى الاضطرار الخارجى

واذا قلت لمخاطب أريدلك أن تختار ملابسا بيضاء خفيفة فى الصيف وملابسا ثقيلة من الصوف فى الشتاء . . فهذه ارادة على نظام ما كيفيته مذكورة فيما توضح . . فان لم يكن لى القدرة على هذا التخصيص قبل أن أخصصه انعدمت معنى الارادة أيضا

ويتضح مما تقدم أن الارادة ذو حدّين متضادّين فـكل منهما يسمى « مشيئة » وعلى ذلك كل ارادة لها مشيئتان: السلب والايجاب

ومعنى المشيئة هو امكان تخصيص أحـد المتضادين المذكورين لا التخصيص نفسه الذى بوقوعه على أحـد الوجهين تتمين الارادة ويتم وقوعها فعلا

وعلى ذلك لا وجود للارادة الا حيث يوجد المشيئتان المتضادّتان

فى حيز الامكان قبل وقوع أحدهما فعلا كتخصيص النفى مع امكان الثبوت فهو ارادة لتخصيص مشيئة النفى مع وجود مشيئة الثبوت معها وكانت فى حيز امكان التخصيص مثلها قبل التخصيص بالنفى المذكور وكتخصيص الترك مع امكان الفعل الخ وهـذا مانسميه : الاستقلال التام مع الحرية الشخصيه

قد يقال فلان أراد فعل كذا فلا يثبت له أنه ذو ارادة فى هـذا الفعل الا اذا كان بجانبه امكانه ترك الفعل المذكور قبل تخصيصه فاذا كان لا يمكنه منع نفسه من تخصيص الفعل المذكور قبل أن يخصصه انعدمت معنى الارادة الى الاضطرار .. والا فان كان ذو ارادة مستقله مع الحريه فله مشيئة تخصيص الفعل المذكور ايضاً .. وبوجودهما معاً له يثبت له معنى الارادة عند تخصيص أحدهما بالاختيار والحرية الذاتية ومتى تم التخصيص بحرية على أحد الطرفين المتضادين وقعت الارادة فعلا وتميزت بنوعها بالوقوع الفعلى

ومما تقدم نرى أن الارادة فى الواقع ليست شيئا معينا محدوداً يملي للغير مقدما .. بل هى صفة تقوم بالذات صاحبة الارادة .. وعلامتها تنفيذ احدى المشيئتين باستقلال تام بلا شريك ولا قوة دافعة فى الوقت المذكور

١٠

وعن تعريف الاراده الالهيه نقول .أن وجود العالم هو بالارادة الالهية . . وذلك لانه كان عديم الوجود ثم وجد — فعدم وجود العالم قبل أن يوجده الله تعالى كان فى حـد مشيئة الخالق السلبية .. وهى اشاءته تعالى فى عدم

وجوده — ثم وجود العالم بعد عدم وجوده صار فى الحد الثانى من الارادة وهو مشيئة الخالق الايجابية فى وجوده ... أى تخصيص وجوده فعلا بعد ان كان لم يكن.. وكلا الطرفين فى مركز الارادة والتى لا تصلح للتعريف الا بوجود المشيئتين في حيز الامكان بحرية الله واستقلاله التام عند اختيار أحدهما وتخصيصه ... فان قلنا ان الله تعالى كان لا يقدر ان يمتنع عن تخصيص ما وقع من خلق العالم فى الوقت الذى خلقه فيه . . أدى ذلك الى انه خلقه مدفوعا . . وهذا يستلزم وجود غيره أقوى كان أولى بالخلق وهو محال ... وبذلك يتعين لزوم سبوق مشيئة عدم الخلق عند الله قبل وجوده بحرية واستقلال تام أيضا . . وان بداهة حداثة العالم الحالى مع أزلية الخالق تثبت وجود هذه المشيئة السلبية السابقة ثم يتأيد منها ومن وجود العالم بالمشيئة الايجابية بالوجود العالمى الحاضر . . ان الله تعالى ذو ارادة مستقلة . . وان العالم وجد بالارادة والاختيار الالهى بنظاماته الحالية المتنوعه

وعلى ما تقدم نجد أنه من شروط الارادة المهمة عدم تحديد ما في النفس المريدة بواسطة الغير . وان يتخصص المراد طبقا لاختيار الذات المريدة باستقلال..وكون التخصيص نفسه حادثا بوجه عام .فاذا قلت : انى أريد برتقالة فلا يقال ان تخصيص البرتقالة لنفسى بهذه الارادة أمر كان واجب التخصيص قبل أن أخصصه بحريتى . لان ذلك من متعلقاتى وحريتى الذاتية . . وغاية ظهور التخصيص هو بيان بعض ما فى نفسى مما كان يمكن لى تخصيصه دائما . . . وكقولك أراد الله خلق الانسان فخلقه

فلا يقال أن تخصيص خلق الانسان كان أزليا بالحصر فى نفس الخالق فى لزوم وجوده فى الوقت المعين . . لان الازلية من صفات الذات الالهية وحدها التى هى فوق العقول لا من صفات المخصص الحادث . . ولان تخصيص حصر هذا الخلق الانسانى فى ذات الله تعالى من الازل فى وقت معين مما يستوجب نفى الارادة فى اختيار خلقه حادثا في أى وقت يختاره الخالق . . . وغاية ما يقال : ان خلق الله تعالى للانسان تخصص حادثا وليس أزليا وان وجوده مخلوقا أظهر شيئا من بعض متعلقات الذات الالهية الازلى ألا وهى الارادة مع القدرة المطلقة فى أى وقت على مثل هذا الخلق وعلى هذه الكيفية المحدثة . . بحيث كان ممكن لله تعالى وجوده أيضا قبل أو بعد الوقت الذى أوجده فيه بمطلق حريته أيضا ـ وأن البحث عن علة السبب فى التخصيص بهذا الشكل الذى وجد فعلا . . أمر من خصائص الصفات الكمالية لذات المريد وحده سبحانه دون غيره والذى هو فوق العقول البشرية . . لانه ان تعين سببا خلاف الاختيار والحرية والكمال الذاتى لله امتنعت معنى الارادة وانقلبت الى الاضطرار وهو محال .

ومن الامور المحزنة التى قررها كثير من علماء الاسلام وفلاسفته السابقين دون أن يراجعوا أنفسهم فى نتائجها . . امتزاجهم أعظم فرع من فروع التوحيد الاسلامى بمذهب الماديين . فكان أس مبادئهم ماديا فى الحقيقة أكثر منه توحيدا . وذلك كتقريرهم أزلية تخصيص خلق العالم فى نفس الخالق فقالوا أن تخصيص خلق العالم وما فيه كان أزليا فى ذات الخالق أو

قديما لا أول له واتبعوا ذلك عن القرآن الكريم أيضا فقالوا أنه مخلوق أو أزلى فى ذات الخالق كان الله تعالى على زعمهم آلة تخرج ألفاظا محدودة فى أوقات محدودة مع ان الله تعالى قادر أن يوحى لنا كل يوم قرآنا فنتج من تقريرهم هـذا أن الله تعالى أشبه بصورة ثابتة لها نتائج ثابتة تتغير فى ذاتها بما يشبه التنوع الطبيعى الثابت . . وما دروا أن هـذا الفرض مما يقرر امتزاج الخلق بنفس الخالق وان خروج العالم للوجود على هـذا النظام فى وقت ما وان كانوا ينسبونه لقدرة الخالق فهو أشبه بالتنوع الطبيعى من العدم الى الوجود من أصل له ثابت ومحتم وجوده . . بسبب تقريرهم تخصيص هذا الوجود فى نفس الخالق أزليا أو قديما . . حتى تولد من ذلك قضية « خلق القرآن » المشهوره فى التاريخ مع أن تأييد العدم قبل الوجود ينفى هذا التخصيص الازلى بلزوم الوجود فى الوقت الذى وجد فيه . . بل قولهم أن التخصيص المذكور عن العالم فى ذات الخالق أزليا هو بعينه المذهب « المادى » الذى يقول : « كان الله والمادة ممتزجان والله فقط هو الاصل المنفعل » أعنى أنه عند ما آن أو ان الانفعال الطبيعى ليخرج هذا الوجود من نفس الخالق بنتائج مالها ارتباط بالذات « وان كانت لنا ولهم مجهولة » حصل الانفعال فكان منه الوجود . . . والفرق بين هؤلاء المسلمين وأولئك الماديين أن الاولين يقولون أن الله تعالى خلق العالم حادثا مع لزوم هذا الخلق أزلا وارتباطه بالخالق حتما من القدم والاخرين يقولون أن الله انفعل عند بدأ الوجود فكان من هـذا الانفعال وجود العالم لان المادة أو الوجود أزلى فى ذاته كما هو أزلى . . فيظهر من لفظة

انفصال أنها موضوعة عند الماديين محل لفظة « كن » عند الآلهيين الذين يدعون بما تقدم مع بداهة بطلانه — فالاختلاف هو فى التعبير اللفظى فقط . . . فالمسلمون ينسبون ألفاظ التوحيد الجميلة مع مبدأهم السالف . . وأما هؤلاء فتعريفهم واضح مع أن دليل التعريفين واحد

ونرى من ذلك أن ما أوقع المسلمين فى هذا التحريف المضل الذى هو فى الحقيقة جوهر المبدأ المادى تخوفهم من أوهام حاربهم بها الماديون ولم يمكنهم أن يتخلصوا منها وهى تقريرهم المبدأ المشهور «إن كل مايتغير فهو حادث »فاجاب الآلهيون : نعم حادث . . ثم قالوا وهل إرادة الله تعالى فى وجوده حادثة أو قديمة . . فان قال الآلهيون أن تخصيص الخلق حادثاًقال الماديون حينئذ قبل التخصيص بالخلق ما كان التخصيص موجوداً فى نفس الخالق . . فبوجوده يثبت حصول التغيير فى نفس الخالق . . وان كل مايتغير فهو حادث فيكون الخالق حادثا طبقا للقاعدة وهو محال عند الآلهيين بالطبع

فماذا يفعل الآلهيون للخلاص من هذه الورطة ؟ قالوا نعم !أن العالم حادث بالقدرة . . ولكن تخصيص وجوده كان أزليا فى ذات الخالق فهو كان لابد أن يكون كما صار الآن حتما بلا تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان . . وبذلك ينتفى معنى التغيير فى ذات الخالق . . وان كل مايحدث هو ثابت فى ذات الخالق أولا وكان من المحتم حصوله من القدم . . كما يقولون ذلك عن القرآن أيضا ثم تسلسل من ذلك مسئلة الاعتقاد بالقضاء والقدر الكاذبة التى تقول . . ان اعمال الناس مع الحوادث العالميه المختلفه ماهى الا صوره

أزلية لا يمكن القول باحتمال حصول غيرها مطلقا. وان حرية الناس والمخلوقات في هذا العالم لم تك الا ظاهرية فقط . وتسبب من هذه الخرافات أن وقعت الأمم الاسلاميه في الهاوية وكل ذلك للتخلص من وهم المبدأ السالف .. وما دري الآلهيون أنهم تخلصوا من الحق ليقرروا قبولهم الباطل على أنفسهم فكان مبدؤهم خلاصة المبدأ المادي وجوهره الذي يتعالى عنه الخالق الواحد الكامل — فوقعوا فيما كانوا يخشون حتى ألبسهم الله سنة الماضين وتمزقوا حتى حين . ولمثل هذا وضعت علم القضاء والقدر الحديث

ثم ان التخلص كان سهل للالهيين بكيفية هي أن يقال : وان كان الخالق حادثا فتخصيص وجوده حادث أيضا الا أزلية له لان ثبوت أزليه هذا التخصيص في نفس الخالق تؤيد بجانبها سلب الارادة ونفيها عن الخالق والتي معناها التخصيص أو الترك بمطلق الحرية في أي وقت كما سبق وغاية مانقرره بجانبه أن حدوث التخصيص نفسه لوجود العالم دال على بعض صفات الخالق وذاته وهو وجوده أزلا متصفا بالارادة والعلم والقدرة . في أي وقت . واذا أردنا البحث وراء ذلك عن كيفية التخصيص نفسه في ذات الخالق فهو تطاول للبحث في الذات بعينها . وهي النقطة التي يقف أمامها المادي والآلهي عاجزاً الى الأبد . وأن الآلهي عنده مبدأ ثابت عنها أساسه الايمان الخالص بأن لله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . فهذه النقطة هي التي فرّقت بين المادي والالهي فالأول لا يسلم بنتائج العقل من لزوم كمال الذات الالهية تسليما غيبيا ابحاثه فوق العقل فكان باعتقاده باشتراك الله مرتبطاً بالمادة دعي مشركا . والثاني

يسلم بها باخلاص من نتائج ابحاث العقل مع اعترافه أن ذات الخالق فوق العقول فكان من ذلك « مسلما » ولله « موحداً » ومؤمنا بالله غيبا كما قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) بدل التورط في هذا الهلاك البعيد .

ويتضح للالهى أو المسلم أن تطبيق قاعدة « كل ما يتغير فهو حادث » على ذات الخالق خطأ محض لأنه يؤيد تماثل ذاته تعالى لأحد الذوات العالمية التى تسرى عليها هذه القاعدة الطبيعية وهذا التماثل بالبداهة أول المحال . قال تعالى (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) فهو تعالى أصل الحوادث وأنه بحدوثها منه لا يجوز أن نلحقه بقاعدة (كل ما يتغير فهو حادث) فهو الواحد الذى ليس له مثيل فى كل ما يحدث مع إمكانه التغيير والتبديل وزيادة الخلق من العدم فى أى وقت وساعة مع كونه سبحانه لا يتغير ولا يتحوّل ولا تسرى عليه قاعدة طبيعية تنسب الى المحدثات الموجودة .

ثم إن نتيجة الارادة بالنسبة للذات لا تقاس بنتيجة الارادة بالنسبة للغير الذى يكون له ارادة فى تلك النتيجة أى تمام الحرية فيما يريد منها مثلا : أقول إنى أريد أكل البرتقالة فهذه إرادة ذاتية انتفى نتيجتها تخصيص البرتقالة لذاتى بطريق الحصر . ولكن اذا قلت لمخاطبي أريد أن تأكل البرتقالة فالمعنى أريد (منك . لا البرتقالة نفسها) أن (تريد) أكل البرتقالة فارادة المتكلم حتما واقعة وارادة المخاطب حتما واقعة لمجرد سماع التبليغ . إذ معنى إرادتى هنا له هى حصول الأكل منه أوعدمه الذى هو معنى إرادته الذاتية فى الأكل فلا يلتزم باكلها جبراً بمجرد قولى

وإرادتي المطلقة باختياره . لأنه إذا جبر سلبت منه معنى الارادة التي أريد أن تكون له وخوّلته حق الأكل بها . فالفرق إذاً واضح جداً بين الارادة للنفس والذات والارادة بالنسبة لآخر له إرادة فيما أريد أن يريده بحريته الذاتية . لأن الأولى تفيد التخصيص والحصر الثابت والثانية تفيد مطلق الخيار المخاطب في تخصيص أحد وجهي الارادة المتضادين لنفسه . وفي كلا الحالتين إرادة المتكلم واقعة كما تقدم .

إذا تقرر ما قدّمناه من تعريف الارادة فلننظر ماذا أراد الله تعالى لهذا الانسان في الأرض . إذ قال تعالى عنه في الكتاب (إني جاعل في الأرض خليفة) قبل أن يوجده في العالم . ولا يخفى أن لفظة جاعل إسم فاعل تدل على الارادة الذاتية لله تعالى على العزم بتنفيذ خلق هذا الانسان بهذا الشكل المخصص ليكون حتماً مخلوقا بشكل به يتمكن بذاته كما هو أن يكون عن الله تعالى في الارض (خليفة) أي نائبا عنه تعالى وصورة له سبحانه يظهر ما للخالق من تمام القدرة والكمال الذاتي .

وإذا كان الانسان كخالقه في الصورة بلا تماثل وأن قدره عظيما لهذه الدرجة وكان بهذا الشكل الحسن الكامل الظاهر (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فلا بد أن نعلم أنه متصف بأول وصف خاص لله تعالى ألا وهو الارادة وتمام الحرية والاستقلال الذاتي والعلم بما يفعل ويريد .

والأدلة التي تثبت أن الانسان ذو إرادة مستقلة كثيرة — أولها البداهة . ومنها أنه على صورة الخالق بلا تماثل . ومنها أن الله تعالى فتح للانسان طريق الخير لعبادته وأراد له أن يريد هذا الطريق بحريته (لا

يختص به اختصاصا ثابتا) ولكنه تعالى فتح له بجواره أيضا من جهة أخرى طريق الشر لا لغرض أن يريد الشر نفسه . كلا . بل لغرض أن يتأكد الانسان أن سيره فى طريق الخير والعبادة هو بالارادة أعنى بحريته واستقلاله الذاتى . فلا يكون له ارادة حقيقية إذاً فى الخير المذكور إلا إذا أمكنه أن يسير فى الطريق المضاد إذا رغب ترك الآخر (لأن ذلك هو معنى الارادة) ولذا قال (وهديناه النجدين) أى طريق الخير وبجانبه طريق الشر أيضا كى يفعل الخير بارادته المستقلة .

وكذا قوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فتحديد المشيئتين اللتين هما وجهى الارادة لاختيار الانسان دليل على وجودها فيه . ومنها (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) أى بحرية إرادتهم فى الطريقين أيضا

ومنها قوله تعالى (ولو أرادوا الخروج) — ومنها . (وإن يريدوا خيانتك) . ومنها (وإن أردتم استبدال زوج) . ومنها (تريدون عرض الدنيا) . (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) الخ مما لا يمكن حصره والبداهة أكبر شاهد . على وجود الارادة والحرية للانسان

ثم لم نفهم معنى تخصيص علماء الاسلام معنى الارادة الالهية بأنها اختصاص الذات الالهية بالارادة الانسانية . فيقولون : فلان تسلق جدار منزل للسرقة . هل كان يريد الله تعالى أن يفعله أم لا ؟ فان قلت لا يريد الله تعالى من هذا العبد أن يتسلق هذا الجدار أجابوك : اذاً . قد يقع فى ملك الله تعالى ما لا يريده وهذا محال . وإن قلت نعم أراد الله كما هى

الحقيقة أجابوك إذاً خصص الله بتلك الارادة الالهية أناساً للشقاء وآخرين للهناء بلا سبب . أعنى إذا وقع السلاق والسرقة وكان ذلك بالارادة الالهية كما تقدم ثبت عدم ضده بالنسبة لذاته . وهو عدم جواز وقوع ضد الفعل نفسه من السارق أى عدم نفيه . إذ لا بد أن يقع كما حصل وقد توسعوا فى ذلك كثيرا حتى تولدت تلك الخرافات الفلسفية عند الأئمة منهم وهذا فى الحقيقة خلط كبير جداً بل هو التضليل الكامل الذى منه تاهت الأمة فى بحار الجهالة . لأن هذا التعريف ينطبق على مثل هذه الأفكار السقيمة لو قلنا أن الانسان ليس هو هذا الانسان خليفة الله الموجود . بل يجب أن يكون جماداً مجرداً عن شرف الخلافة الالهية الذاتية بالنسبة لوجود الانسان بأنه خليفته وذو إرادة ولسلبنا منه أعظم منحة من الله تعالى ألا وهى : تمام الخلافة مع الحرية والاستقلال الذاتى والعلم المناسب لخلافته الكاملة .

والحقيقة إذا أساء انسان ضد أخيه بسوء ما . وقلنا أن الله تعالى أراد أن يسئ هذا الانسان لأخيه أم لا ؟ فالجواب . نعم شاء الله تعالى أن (يريد) هذا الانسان لنفسه ما يفعل من الاساءة ضد أخيه ليجازى بنتيجتها بالسئ من الله تعالى بالحق بمعنى أن يكون عدم الاساءة فى الوقت نفسه جائزاً حصوله إذا لم يرد هذا الانسان بحريته وارادته فعل الاساءة المذكورة السالفة . وبالعكس أى نقول إذا أحسن إنسان على فقير وقلنا أن الله تعالى أراد أن يحسن هذا أم لا ؟ فنقول . نعم . أراد الله تعالى أن (يريد) هذا الانسان لنفسه ما فعل من الاحسان ليجازى بنتيجته من الله بالحق بمعنى

أن يكون عدم الاحسان فى الوقت نفسه كان جائزاً حصوله إذا لم يرد هذا الانسان بحريته وارادته فعل الاحسان المذكور السالف . وارادة الله تعالى على كلا الحالتين بالبداهة واقعة . لأن العبرة بارادة الله تعالى المخصصة هى منحه تعالى (ارادة) للانسان التى لها السلب والايجاب السالف ليتخير أحدهما تحت مسؤليته الشخصية .

كيف يكون الامر كذلك كما ذكرنا من بيان الإرادة وتنوعها وندعى أن جميع البلايا التى تحيق بنا من أخطائنا وسوء أعمالنا وأنفسنا شئ قدره الله لنا بكيفية أنه مكتوب لنا بالذات بلا علة وهو يسوقنا اليه مع أن الله لا يدعونا الا الى الخير دائما « بيدك الخير انك على كل شئ قدير » فاذا أصاب الانسان سيئة كان ذلك من نفسه وعمله وبتمثل الفرد تكون الامة إذ قال جل شأنه . (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وهل يصح بعد ذلك أن نقول كما قال الامامين عز الدين وبن تيمية من أن الله الآمر يقول افعل وارادة الله من خلفها تقول : لا تفعل . كيف نعرف أن كل انسان حر فى ارادته ويجازى بكل ما تسول له نفسه إن خيرا وإن شرا ثم نقول أن فلانا قدر له هذا الشئ وكتب باسمه من القدم وذاك قدر له هذا الشئ الآخر وأحدهما في النعيم والآخر فى الشقاء . اذا اعتقدنا ذلك أيضا مع تساوى الفردين لنسبنا له تعالى عدم المساواة والظلم . ان صرحنا بانه خص هذا بالشقاء قديما وذاك بالسعادة من الازل . اذ أن الناس أجمعين كانوا فى الفطرة الروحية مؤمنين مخلصين أمة واحدة فاختلفوا بانفسهم

بعد خروجهم في هذه الحياة بالحرية الممنوحة لهم بحق مطلق من الخالق وبحسب ما أراد كل فرد واختار لنفسه صار لكل فرد غرض يرمى اليه ويعامله الله تعالى بمقتضاه وإن قضاء الله وقدره القديم لا تخصيص فيه لاحد إذ قال تعالى . (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا) أى بحريتهم فى هذه الحياة .

فحاشا لله أن يكون ظالما ليخص زيدا من القدم بالشقاء وعمراً بالسعادة من الازل بلا سبب فهو تعالى مع ظلم الانسان لنفسه لاختياره طرق الشقاء بحريته كتب على نفسه الرحمة قبل ايجاد الخلق ليكون فى الرحمة أعم . والعفو خليق بقادر خالق رؤف رحيم .أن المنتقد الخبير اذا نظر على يمينه وحول بصره الى الأمم التى لا تدين بالاسلام لرأى منهم اقداماً ونشاطاً يحير الالباب بما يظهرونه من آيات الله ونعمه المدفونة فى العالم من كل اختراع جديد واكتشاف مهم ولما حصر الجمعيات الخيرية المتعددة فى بلادهم والشركات الكبرى والاحتفالات بالمعارض والصناعات والتبرعات الهائلة من كرام المحسنين لخير الوطن والرفق بالايتام والفقراء والاموال الجزيلة لانشاء الاساطيل وغيرها مما لا يعد ولا يحصيه العقل والفكر مما يدل على الحياة الجميلة العالية حتى صارت هذه الأمم أبرح من نور الشمس بعلومها وقوتها واجتهادها وسهرها على ماينفعهم في جميع أمورهم ركادوا يبتلمون الارض وما عليها من نعم وخيرات ومنافع عديدة . ولعل سبب ذلك عدم تشرب قلوبهم بعقيدة القدر مقلوبة كما تشربها المسلمون وإن كانت هذه العقيدة مبحث كثير من علماء جميع الأمم .

فاذا حول بصره الى الجهة الأخرى ونظر إلى الأمم الاسلامية على اختلافها لرأى الانقسام والتباغض والتحاسد والجهل والتأخر على أكثرهم ولعلم أن الجميع فى مرض صار مزمنا يعز شفاؤه ويكاد الانسان ييأس من وجود دواء لشفائه .. وسببه في الغالب الخمول الناتج من فهم القضاء والقدر مقلوباً ..وهذا ليس بغريب اذا تمسكت الأمة بشئ ليس من الدين مطلقا ولا فى أى ناموس فى العالم . . (اللهم الا فى المخايلات السحرية فانه يتخيل لناظر ظواهرها أنها حق مع أن باطنها كله الباطل) بل هى أوهام تمسكوا بها بخلطهم فى معنى القضاء والقدر القديم من غير تدبير آيات الله ومشوا عليها جميعا بلا استثناء مما كان سببا في جمود الامم الاسلامية كافة بعد النهضة الاولى للاسلام بقوم قد اغترفوا من بحر العالم والعلوم جهد استطاعتهم بما وافق روح القرآن وحكمته البالغة فكانوا على الارض كالبرق اللامع المنير .

فاذا كانت الامم الاسلاميه سائقة نفسها على حسب كلام الله تعالى فيما يختص بقضاء الله وقدره الموضح حقيقته الكلية الخالصة فى القرآن لما ارتفعت أمة من الامم على الاطلاق على الاسلام ولدامت الامة الاسلامية هى النور الساطع الى الابد فوق الارض وهى لا بد أن تنهض من كبوتها (لو أرادوا بعد اليوم أن يتمسكوا بحقيقة مبادىء الدين) لتكون كذلك حتى لا ترجع أبداً الى ما وقعت فيه .

اذا كانت الامم الاسلامية تشكوا تقهقرا واضمحلالا فهو لجهلهم أهم نقطة فى الدين وهو الاعتقاد فى القضاء والقدر اعتقادا مقلوبا عن الحقيقة

قلبا كليا — يكاد المسلم الحر أن ينفطر قلبه كلما رأى تلك الامم الاسلاميه التي كانت كشعلة من نور أضاء السكون واكتسب من آداب الاسلام ومبادئه الجميلة ما جعل تلك الامم الراقية الحديثة تعض عليه بالنواجذ ونحن لاعمال الاوائل تاركون والقرآن العظيم ما زال هو المصباح الذى استضاؤا به وبهداه يبهر أعيننا بمبادئه الفائقة الموصلة لكل تقدم وارتقاء ونحن عنه غافلون وفى بحر الاوهام وزيغان الاعتقاد تائهون. لا . بل يكاد الانسان ييأس من معرفة دواء لشفاء هذه الامم الاسلامية لعدم التمكن من وجود وسيلة ترشدهم الى هذه الروح العالية فى القرآن عن حقيقة عقدة (القدر) العظيمه وهم ينظرون الى تلك الجراءة فى جميع الاعمال والحياة الحقيقية التى عليها الغربيون وغيرهم وهم يرونها بأعينهم ويسمعونها بآذانهم مما يدهش الابصار ويسر الفؤاد ويتمنى كل انسان محب لوطنه ودينه وأمته أن يقول فى سره وجهره : لو أن لى أمة فى مثل هذه العظمة والقوة وعمل البر والاحسان والفخار . —

إن الدين يطلب التقوى الى الله مقرونة بالقوة فى الارض على اختلافها ليكون الحق وكلمة الله هى العليا (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وأن الأمم الاسلامية لو وجدت لها نصيرا من علمائها وعقلاء أفرادها الذين حنكتهم التجارب والعلوم وثبتوا فى عقولهم حقيقة الاعتقاد الصحيح بما جاء به القرآن كما أنزل الله من غير زيغان كهذا يتوهمونه فى نفوسهم حتى أوقعهم فى مثل هذا الاضمحلال المميت . ثم ألزموا أنفسهم بالترقى حسب النواميس الالهية والعمرانية والطبيعية المطابقة تماما لما جاء فى

آيات القرآن الباهرة .. لكانت الامم الاسلامية ما زالت من أفضل الأمم وأقومها فى المبادى العادلة الجميلة . إن مبادئ الدين الاسلامى دونها المبادئ الوطنية العالية والمبادئ البشرية العظيمة . إن الدين الاسلامى ومبادئه مع العقل والنواميس الطبيعية الثابتة شقيقان لا يفترقان شعره أو ما يقل عن الذرة .

(١٣)

قال تعالى فى كتابه العزيز : « وأن ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » ففى هذه الكلمات الصغيرة الكبيرة جمع الله تعالى أصل الغرض من الخلقة ثم مآلها ثم نتيجتها . . . . فاذا كان كتب لاى انسان شئ من الازل قبل أن يسعى اليه بحريته كما يدعى الجاهلون لقيل : « وأن ليس للانسان الا ما كتب عليه » عوضاً عن هذه الآية الحقة الكريمة . . ولكن ذلك محال . . الا أن يدعى بها ظالما مبطل كافر . وعلى هذه البراهين القوية البديهية يجب على كل مسلم أن يكون فى جهاد ونضال لعدم الاقدام على عمل ردئ أو مضر سواء كان ذلك للنفس أو للغير . . . بل كم من فوائد تفوت المسلم فى تقاعده وضياع الوقت سدى . . . وعدم انتهاز الفرص في الاقدام على كل عمل مفيد وتنفيذ كل فكر حسن يتأمل منه فائدته أو منفعة غيره أو وطنه . . إذ ما لا جدال ولا شك فيه أن الدنيا دار عمل وتنافس للتسابق للخيرات الدنيوية لادار خمول وتقاعد وانتظار للقضاء والقدر . . . يؤيد ذلك الله والقرآن والرسول : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وجميع السنن الدينية والطبيعية والعقلية والاوامر

الالهية . وليس كما يساق لنا من الوساوس والاوهام . ولا نعجب بعد ذلك اذا تمسك كثير من الامم الراقية التى لا تعرف حقائق القرآن بمبادئ وأمثال لا تقل فى حكمتها عن مجموع ما أوضحت حتى ترقوا على الامم الاسلامية الآن المتمسكة بالاوهام والخمول كقولهم « الوقت مال » يقصدون بذلك دوام العمل الصالح بلا كلل ولا ملل فى كل أمر نافع وعدم ضياع وقت ولو قصيراً فى عدم التفكر فيما يرفع شأنهم وأوطانهم ويقوى ملكهم . . وهم لا يقرؤن مثلنا صباحاً ومساءً هذا القرآن العظيم الذى يهدى للتى هى أقوم . ويفصل كل شئ أجمل ايضاح وتفصيل وهو يدعونا ويحثنا على العمل بهذه الروح العالية . فما أجهل الامم الاسلامية بروح الاسلام الجليلة .

ان الاسلام يحث بكل قواه لكل عمل صالح ينفع بنى الانسان وللتقرب الى الله بأنواع العبادة والبر والاحسان العام . بل ويدعو لكل تقدم وعلم نافع وحرية وأخاء عام وتعاضد ومساواة وتكاتف واختراع واستنباط وتبصر وتفكر وطلب المزيد من القوة والثروة ونفع الوطن والاستقلال والتمتع بكل ماتخرجه الارض والنظر فى خلق الله فى السماء والارض وأنه لآيات بالغة أوج الكمال من الحكمة لقوم يتفكرون .

وعلى ذلك . فالاحسن للمسلم أن يختار الطريق الذى يوصله للسعادتين الدنيوية والاخروية «فعند الله ثواب الدنيا والآخرة» ويجتهد فى كل عمل يؤمل منه النفع بلا تردد سواء كان لنفسه أو لغيره من غير تمييز فى الجنسية «الا من اعتدى بلا حق» أو لبنى وطنه وأن يكون متصفاً بكل أوصاف

الرجولية التى تشرفه وتعلى قدره مع الايمان بالله والاخلاص له فى جميع الامور والصبر والجلد وعدم اليأس فى نوال المقصود مهما طال أمده والاقدام والثبات وحسن التوكل والتسابق فى عمل البر والاحسان وتنفيذ الاوامر التى يحثنا البارى جل شأنه للتمسك بها لحكم نعلمها أو نجهلها مؤقتا ثم مراجعة العقل والضمير دائما فى جميع الاعمال والاحوال ولعل ذلك ذكرى لقوم يعقلون

(١٤)

أما المصائب التى حلت بالامم الاسلامية الماضية من قلب عقيدة القدر الى غير اتجاهها الحق فكثيرة لاتحد ولا تحصى حتى صارت كلمة (قسمة) هى الحجة الاولى المحترمة فى تعليل كل أمر من الامور صغيراً كان أو كبيراً.

وكل المصائب الانسانية التى تحل بالنوع الانسانى باسم الدين سببها دينا ميت الوهم الكاذب فى الارواح فيشتعل بالعقول ويرجعها عن أصول الدين . فاذا تبعثرت صعب ارجاعها الى أصولها . وأقوى دينا ميت فى تاريخ البشر بث باطلا فى العقول هو الذى تبتى عليه الامم الاسلامية فشلها وخزى تقهقرها من قرون مضت الى الآن . ولم تعرف كيف تحوز المدنية الصحيحة والكمال الانسانى بل لم تعرف كيف تتخلص باحتراس من أصل بلائها ووبائها الفتاك. وباء الاعتقاد المعكوس «بالقضاء والقدر» اذ هو دينا ميت الاسلام الفتاك . ان الانسان فى جميع الازمان يخترع للعقول دينا ميتا من تراكيب كيمياء الوهم ويدخله فى أصول الدين . فيتبعثر

الحق والفضيلة حتى يرسل الله تعالى رسولا يظهر حقيقة جوهر الدين فيلم شتات العقول ويرجع كل شئ الى أصله . ولعلة ختام ارسال الرسل أنزل سبحانه هذا القرآن وعهد الى ذاته الكريمة أن لا يمس كغيره . فكان للآن كما أشار « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فبالرغم عن ثبوت القرآن وعدم تغييره ما لبث هذا الانسان حتى رجع بنفسه الى الاوهام واختراع المهلكات باسم الدين للارواح والعقول باقوى دينا ميت وهمى وقف عثرة عن التقدم الانسانى بشمس نيرة هادية قوية مثل « القرآن المجيد »

أمر غريب . وحكمة عالية . القرآن ليس كالاديان الاخرى التى نزلت وبعثرها اللاعبون بل هو واقف كأنه الروح الوحيدة التى لا يؤثر فيها نوع ما من دينا ميت الاوهام وان العقول الاسلامية نفسها نفخت كثيراً فى الهجمة عليه ولكنها تجد نفسها نسفت نسفاً شديداً بأباطيلها الوهمية حتى توهم الذين لا يعرفون القرآن يقولون انه أصل للبلايا التاريخية المتتابعة فى كل جو اسلامى ولكنا نحمد الله كثيراً على ثبوت جوهره فسيظهر للكل نقاوة أصله وطلاء جوهره . وانه قانون الانسانية الحقة والتقدم والعمران . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . اخترعت الامم الاسلامية أعظم قوة من دينا ميت الاوهام لم يسبقها أمة قبلها فى التفنن فى اتقانه فأعظم نيشان « الوهم » فى التاريخ يجب أن تمنحه الامم الاسلامية الماضية . فقد صنعته ضد نفسها أولا وضد القرآن ثانيا . لانها هجمت به أزمانا على هذا الكتاب المنير

لتلبسه اياه فتبعثرت هي تبعثراً شديداً بقدر قوة هجومها . ومعاناة اقدامها مع ثبوت القرآن مما نرى آثار النزع في روحها في كل مكان الى الآن . فان أفاقت قليلا . فلا تكون الا كالسكران الذى يوهم تمالك قوته بالجعجعة واللسان . مع تأصل الخمول الكامن في جوفه من سموم التخدير بأوهام القضاء والقدر المعكوس . هذا الدينا ميت الوهمي تسرب لعقول الامة الاسلامية من بعد خلفاء الاسلام الاولى . وكان واضعوه على مايظهر من أول المادحين لمبل التضاليل . فامتلأت منه العقول وكثرت جراثيمه حتى كان منه فراش الخمول . « كل شيء قسمه » فالمتأخرون الحاليون لايرون منه تأثيراً واضحا لعدم كشف أسراره وتأثيره الا أن يروا أنفسهم بالنسبة لغيرهم في غاية الضعف والفشل والاضمحلال حتى كان رأى كل مسلم عند كل حادث كما قال المستر «ديسى» الانكليزى! «الدين الاسلامى يميل بالمسلمين الى الاعتقاد بالقضاء والقدر ومن كلمة «قسمه» نفهم رأى الشرقى في جميع الحوادث» . فالمسلمون في أجمال أحوالهم الآن في هذا الموضوع أشبه بالمريض الوارث أمراض السل من أبويه فلا يعرف قيمة الصحة الحقيقية الا اذا تجرد من جراثيم مرضه القتال

نزل القرآن الحكيم بين أمة العرب التى كانت متنافرة متهالكة في العداء الداخلى فاحل بينهم وازع التواد والرحمة . وكانوا من أجهل أهل الارض بالمدنية والفضيلة والعمران . . . فاخذوا به يبنون المدنية والالفة والنظام بقدر ماسمح به الوسط بين ممالك الفرس والروم التى كانت عند البعثة المحمدية عنوان الظلم والفساد والاحن . . ولكن كان أداء ذلك

بالنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الذين عرفوا وفهموا مهمة القرآن الحكيم وعلموا حكمة ما أنزل اليهم . وصار العمل المجيد الذى قام به الاسلام بينهم في مدة قصيرة داعيا للدهشة والاعجاب فى صفحة التاريخ وسلما للمدنية الحديثة . ولكن الامم التالية الاسلامية التى كان كثير منها متشبعا بعقائد الماديين وفلسفتهم والوثنيين وغيرهم ممن دخلوا حديثا فى الاسلام أخذت تثبت من خمول الافكار فى دلائل القرآن النيرة ماجمدت به أعصاب الامة وتخدرت به العقول . وأول مواد التقهقر كان موضوع « القضاء والقدر » مقلوبا . فكان بمثابة الديناميت الفكرى للعقول ومركز الدائرة فى كل فشل عام فى جسم الاسلام من بعد الخلفاء الى الآن . تجد أهم فيلسوف يبحث وينقب ويرفع ويوضع ويغير ويفرض . وفى النهاية تجده واقفا أمام هذا الموضوع باهتا وعاجزا الايدى ماذا يفعل . ألفت المؤلفات . وأهدوها للامة هدية من قال : « هذه آخر طاقتى » فكانت تلك الهدايا الالمية كمنح الطفل كرة من الديناميت الخطر المهلك . كتبوا كثيرا وفرضوا كثيرا ثم ردوا القهقرى الى الآن وكان هذا داعيا لوقوف الامم التالية جامدة تحت هذه الهزيمة العظيمة . وصار مركز الاسلام بهذه الضربات الى الآن لان يكون أغلب أممه عنوان الخرافات والتعاويذ الوهمية باوهام بثها المضلون فيه . والقرآن الحكيم أمام هذه الهجمات واقفا معجبا ومتأسفا على مايرمى به من تلك النسب والاوهام المضحكة المبكية . عجيب أن تمر القرون دون أن يعثر فيه أحد الى حقيقة هذا الموضوع . منه جمدت الامم الاسلامية فصارت عنوان الجمود

وطاشت به الاحلام فصارت عنوان الفساد والظلم . تنوع العالم وتحول. تتقدم الامم وتتبدل. والامة الاسلامية هى هى واقفة أمام هزيمة القضاء والقدر . وأى هزيمة يستحقها من افترى على الله الكذب . وبدل النور فى كلام الله ظلاما . اذا سألت أمة مسلمة أو شخصا مسلما أصابه خطب قال لك كما يقول المستر (ديمى) هذا (قسمة) فلا تعليل للحوادث ولا تحوط لنتائج مافات لاتقاء فشل جديد . اذ معنى كلمة (قسمه) هو أن لاتدبير فى يده لامكان تنوع الحادث أو تلطيفه وأن ماأصيب به كان كتبه الله تعالى لذاته من القدم ولا بد فى اليوم والساعة التى أصيب فيها يحصل له ذلك مما لامفر له منه على أى حالة فهو قسمته من الله تعالى وحظه المحتوم من الخالق لانه يقول ان القرآن وأصول الدين الاسلامى تؤيد ذلك . فاذا سألته عما اذا كان فى الامكان أن يغير الخطة التى أدت الى هذا المصاب أو كان فى الامكان ان يغيره الله تعالى بمصاب آخر مما لو سلك مسلكا غيره . أجابك أن هذا محال فكل شىء مكتوب مقرر لايتبدل ولا يتغير فيصدق عليه قول سنكا حكيم الرومان اذ يقول: (من الناس من يعيش بلا غرض أو غاية فيعبر فى هذا العالم كالعصافة على سطح ماء النهر لاتسير من نفسها بل يحملها الماء من مكان الى مكان) فهل ذلك حقيقى فى دين الاسلام ؟ وهل مما علمت مما كتبناه أن القرآن يشير اليه بحرف ؟ . كلا. محال أن يكون للانسان قسمة مخصوصة من القدم لايتعداها . بل مجال الاقدار متسع فسيح يسير وراء ارادة الانسان الحرة . فمن كان اليوم بليداً شقياً يمكنه بحريته أن ينقلب فى الغد نشيطاً سعيداً . ومن كان اليوم

سعيداً يمكنه أن ينقلب بحريته ليكون في الغد شقياً. يقول المسلم باستحالة الفرض بامكان تنوع ماحصل من (القسمة) فيما لو سار بخطة أحسن لان هذه (القسمة) شئ لازم حتما على كل حال ولكن شكسبير يقول : (يغلب أن يكون علاج مصائبنا فينا) والقرآن الحكيم يقول : (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فأى القولين أصح ؟. أقول صريحا كذب المسلم فى ادعاء (قسمته) الثابتة وصدق القرآن وشكسبير اذ لاشئ يقسم للانسان الا بعمله الذاتى وارادته الحرة المملوكة ليده من الخالق..

يقول المسلمون (بالقسمه) على الوجه السالف وقد علمت مما ذكرناه مقدار مركزه وبعده عن الحقيقة ولكن اللورد (افبرى) الانكليزى يقول (ان معظم مايصيبنا مما نكره تعود تبعته علينا فاذا لم يكن لخطاء ارتكبناه فلتسا هلنا واهمالنا) . فأى القولين أصح ؟ . أقول كذب المسلمون فى ادعائهم (بالقسمة) الازلية المحتمة وصدق الحكماء الذين يتأملون بحق لحكمة الله الواقعة فى العالم والتى نطق بها القرآن من اجيال وهى (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لمراقبة الله الانسان فى كل حادث ولو كان طفيفا ثم مجازاته عليه

تسلسلت الاعتراضات على علماء الاسلام وكثر الافتاء للسؤال منهم عن هذه الأمور المضحكة المبكية التى قرروها من قرون مضت مما أوقع الرعب والدهشة فى القلوب من أعمال الله عز وجل ضد عباده حسب أجوبتهم المنكرة . فتساءل الناس فيما بينهم وقالوا اذا كان الله عز وجل قرر خلق أصناف من الناس فريقا له الشقاء بلا سبب وآخر له

الفناء بلا سبب وأن أفعالهم التي يفعلونها مقررة واجبا وقوعها منهم حتما — فماذا يكون الحكم العقلى على أفعال العباد المختلفة المذكورة مع هذا الالزام ؟. لاشك أنهم ملزومين بكل مايفعلون ليصلوا بأفعالهم الى نقطهم الأزلية المخصصة لهم فى العلم الالهى لتكون نتيجتهم في الآخرة كالطريق المخصوص المقرر لهم من الله عز وجل. فيكونوا فى الحقيقة مجبورين. على كل عمل وان كانت البداهة تؤيد حريتهم !. — وأيضا — اذا كان الانسان فى الحقيقة حسب زعمهم مجبورا من الله تعالى على كل مايفعل — فما معنى التكاليف التى تقررها الشريعة الاسلامية على كل مسلم ؟. وما معنى صدور الأوامر والنواهى الالهية بصفة عامة لجميع البشر بحيث لم يخصص فيها أناسا دون آخرين ؟. لاشك فى ذلك من المناقضات مايبقى العقول الرشيدة فى حيرة أبدية !. ويرجع ذلك كله إلى عدم معرفة ماهيه العلم الالهى ثم الارادة الالهية

(١٥)

أما العلم الالهى.. فان الله تعالى ليس كالانسان ولا كأحد من المخلوقات كما هو معروف فى علم التوحيد. فعلمه تعالى أيضاً مغاير كل المغايرة لعلم البشر فى ماهيته وكيفيته. فكما تعجز البشر عن ادراك كنهه تعالى ذاتا فهى تعجز عجزاً مطلقا عن ادراك علمه وماهيته أيضا. فعلم الانسان حقيقة لا يتساوى فيه الواقع من الحوادث بغير الواقع منها. ولكن الله تعالى بالضد من ذلك. فالواقع من علمه تعالى تحت الحس الانسانى يتساوى أيضا في ماهيته بالعلم عنده بالمعدوم الذى لاأثر لوجوده فى

الواقع . أعنى أن الواقع من علم الله يتساوى بغير الواقع بلا فرق . وان كان ذلك فوق ادراك الانسان . ونبرهن على هذه النظرية بالكلمة الآتية :

لايخفى أن الله تعالى كان وحده قبل أن يخلق أحدا .. فالخلق العالمى بنسبته لله تعالى حادث كما هو معروف . وهنا يمكننا أن نتساءل : هل العلم بالخلق لما كان عدماً عند الله ؟ كان هو العلم نفسه لما صار هذا الخلق تحت الحس الانسانى الآن ؟ وهل لم يتغير ؟ الجواب نعم . طبعا . لم يتغير علم الله تعالى وان كان تصور ذلك فوق مدارك الانسان لان الطبيعة الانسانية لايتساوى عندها المعدوم بالملموس . وعلى ذلك . فوقوع الحوادث وعدمها سيان عند الله تعالى اذ هو الخلاق العليم . فاذ اراد خلقا جديدا لم يخلقه للآن . فهو فى علمه كما لو كان موجودا فعلا . وبذا نقول انه لايجوز أن يقال عن علم الله تعالى واقع وغير واقع عند مانقرر امكان وقوع الايمان من انسان وقع منه الكفر فعلا او معدوم وموجود فى العلم عند الله . فلا عدم ولا وجود فى علم الله كتصوراتنا فى انفسنا عن علمنا. فاذا قال فقهاؤنا ان علم الانسان بالواقع لايتساوى بغير الواقع . كان ذلك حقا . ولكن ذلك مستحيل عن علم الله تعالى !! لتضاد ماهية العلمين كما هو فى الذاتين أيضا وهذا أهم سبب غفلوا عنه للآن والسبب الاول فى جهل عقيدة القدر المقيده .

وعلى ذلك ان كفر الانسان بالله ووقع منه الكفر فعلا. فعدالة الله الكاملة تقضى بان يكون له فى ذلك العلم الالهى ايمان ايضا قد تركه بنفسه

وكان ممكنا له وقوعه بدل الكفر حالا محله . لان ذلك سيان عند الله في علمه وقدرته وارادته وعندها يمكن ان يقال له: لماذا كفرت بالله؟ . ولماذا لم تؤمن بدل الكفر ؟. لان الله ملك ليدك القدرة على الايمان ايضا وأنت وحدك بكمال حريتك اخترت هذا الكفر واردته مع علمك بأن جزاءه الجحيم . ودليل هذه الحرية الكاملة قوله تعالى : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * كما ان دليل وجود الكفر مع الايمان له في علم الله تعالى قوله تعالى : وهديناه النجدين (أى الطريقين) طريق اكتساب الكفر وطريق اكتساب الايمان .. وليس طريقا واحدا . وكالاية الثانيه : انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا

أما الارادة الالهية: فالغرض منها اختيار الانسان عن طريقين أيضا فكما سبق واوضحنا ان العلم الالهى لايتعارض مع وقوع احد الضدين من الافعال الاكتسابية كاكتساب الكفر وامكان اكتساب الايمان بدله وكاكتساب الشر . وامكان اكتساب الخير بدله الخ بحيث يسهل محاكمة الانسان امام محكمة العدل الالهية الكبرى بلا تكلف لنسبة الظلم عقلا لله العادل مما لو كان العلم الالهى محصورا في الواقع دون غيره كما قال فقهاؤنا .. فان ماهية الارادة الالهية قد فسروها بالواقع فعلا من الانسان أيضا كمن يكفر بالله تعالى . فانهم قالوا أن الله أراد منه وقوع الكفر دون غيره بدلالة الوقوع . وأنه لايقع في ملك الله الا ما أراده .. فلا يصح افتراض امكان وقوع ضد معدوم . وهذا المنطق صحيح معقول لو كان الله تعالى أراد منه وقوع الكفر حقاً . ولكن ذلك لم يحصل مطلقا ويتعالى

الله عن ذلك مع أى مخلوق كان . بل هو بالعكس لايرضى الكفر لعبد من عباده فكيف يريده لأى انسان ! (ولا يرضى لعباده الكفر)

والحقيقة أن الله تعالى أراد من الانسان الاختيار دون غيره كالآية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وفرق كبير جداً بين ارادة الله تعالى وقوع الكفر منه فعلا وبين ارادته تعالى بوقوع الاختيار بين الكفر والايمان . فالواجب الوقوع حتما . ليكون طبق الارادة الالهية هو الاختيار دون غيره . ومعنى ذلك اما وقوع الكفر بارادة الانسان . واما وقوع الايمان بارادته أيضا . وعندها .باختيار احدهما .تكون ارادة الله تعالى واقعة أيضا بحصول الاختيار المذكور . أما المسئولية بعد الاختيار فعلى الانسان وحده. وبسبب ذلك سيكون الحساب يوم القيامة أيضا ويقال عندها بحق, انه لايقع في ملك الله الا مايريد أيضا . وقد سبق أوضحنا أن وقوع احدهما فعلا من الانسان لايغير شيئا ولا يؤثر مطلقا فى قدرة الله وعلمه الكامل . وغاية مايقال ان الله تعالى فتح طريق الكفر أمام ارادة الانسان الحرة كما فتح طريق الايمان أيضا . فاذا اراد الانسان وحده هذا الكفر ووقع منه فعلا فلا يقال ان الله تعالى أراد منه هذا الكفر الذى لايرضاه له لان ذلك معناه محو الطريق الثانى أمامه وهو طريق الايمان السالف . وهذا غير لائق نسبته لله الكامل اذ الحقيقة أن الله لم يمنعه من اكتساب أحدهما كالآية انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفوراً * وعليه.. فارادة الله من الانسان : هى الاختيار وحده بين طريقين لا ينفصلان عنه الى نهاية الحياة

ومما تقدم يتضح للقارىء ان منح الحرية للانسان من الله كاملة هى الأساس الاول فى وجوده ولولا هذه الحرية لكان الخلق باطلا لاغرض منه . ولا علة لوجوده . فبها يتأيد أن هذا الانسان خلق فى أحسن تقويم لتمكنه من الكفر ان اراد . او الايمان ان طرق بابه . ومصباح العقل امامه يرشده . فيشقى بنفسه ان اراد ويسعد أن أراد « وأن ليس للانسان الا ماسعى » ومن اللائق عقلا لكمال الله تعالى بازاء هذا النظام الحق انه تعالى لا يتعرض لحرية الانسان الا بالحق . فاما لجزاء عدل عن جريمة سعى اليها . وأما لحفظ حقوق آخرين . واما لعدم التعرض لحرية الناس يوم الله تعالى وجوب المحافظة عليها الخ مما هو مبين فى آيات الله القرآنية الكثيرة وما سنذكره فى علم القضاء والقدر . ولا عجب . فالحرية الكاملة والاستقلال التام لكل انسان فى العالم هو الامر الطبيعى الذى يجب أن تسعى اليه أيضا كل امة بصفتها امة واحدة متماسكة متضامن أفرادها فى الحياة الدنيوية راغبة فى الآخرة فذلك من أسمى المقاصد التى يجب حتما ان تسعى اليه خصوصا كل أمة اسلامية فى العالم وتضحى دونه كل مرتخص وغال

(١٦)

وبالرغم عن كل ماتقدم . فان جميع الامم الاسلامية خاصتهم وعامتهم وعلماؤهم يعتنقون مذهب « الجبرية » فى الباطن . والدليل على ذلك مؤلفاتهم الضخمة الكثيرة الباطلة ومثال ذلك مؤلف شيخ الاسلام

ابرهيم الباجورى قال فى حاشيته صحيفة ١٣ فى كتابه « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » سطر ٣٢ مايأتى :

وبالجملة فليس للعبد تأثير ما «أى فى كل مايفعل – تأمل وتعجب» فهو مجبور من الله باطنا مختار ظاهراً فان قيل اذا كان مجبوراً باطنا فلا معنى للاختيار الظاهرى لأن الله قد علم وقوع الفعل ولابد وخلق فى العبد القدرة عليه – أجيب بأنه تعالى «لايسأل عما يفعل» ومن أغرب مايكتب فى حق الله تعالى قول شيخ الاسلام المذكور صحيفة ٧٥ مايأتى :

ليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وانما هما أمارتان تدلان على الثواب والعقاب لمن عصى حتى لو عكس دلالتهما بأن قال من أطاعنى عذبته ومن عصانى أثبته لكان ذلك منه حسنا. فلا حرج عليه لايسئل عما يفعل اه

وانى أقول ان مافرضه شيخ الاسلام المذكور من هـذه الخرافات أوهام لايليق نسبتها للخالق لفظا فضلا على أن فعل الله لهذا النقص محال ثم محال . ولهذا اذا سألت ألوف المجرمين السفاكين للدماء من المسلمين أمام المشانق. أو النساء المسلمات المستهترات باعراضهن لماذا هذا الاجرام أو هذا التهتك أجابوك فوراً . هذا فعل الله . وكتبه عليهم ولا خيار لهم فيه ! فكأن العقيدة نفسها ساعدت وصارت جزاء متمماً للاجرام والفساد! فهل بعد ذلك تضليل وضياع أخلاق ! ! بخلاف الكلمات المشهورة : (مكتوب على الجبين) و (قسمه) و (الاصل فعل الله) الخ

وقال أيضا أبو حامد الغزالى المشهور فى كتابه إحياء علوم الدين مايأتى :

(ان الانسان مجبور من الله على الاختيار . ومعنى كونه مجبوراً هو أن جميع مايحصل فى نفسه حاصل من غيره لا منه (أى من الله) . ومعنى كونه مختاراً أنه محل لارادة حدثت فيه جبراً (أى من الله مباشرة) بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً محضا موافقا وحدث الحكم جبراً أيضا . فاذا هو مجبور على الاختيار – اه

والغاية من كل ماتقدم انهم يشعرون بضيق الموقف . وأن الأجوبة الماضية تزيد الانسان تشبثا مما يوجب ارتباك العقل وسوء الظن بالله تعالى فأضافوا على ذلك قولهم فى الختام (لايسئل عما يفعل) اسكاتا لكل سائل حتى خرج بهم الحد الى قلب الحقائق كما مرّ مما يوجب الاستغراب والاندهاش – فواضيعة الحق والدين ممن يدعون الرئاسة فى فهم الدين !.

إن علماء الاسلام مثل العامة لم يخفوا الحقيقة الباطنية التى يعتقدونها عن عمل الانسان العام أيا كان وحيثما كان فقالوا أن كل انسان مجبور من الله تعالى فى الباطن عن أى فعل كان ومختار فى الظاهر وأن هذا الاختيار الظاهرى تحايل منهم للخلاص من ورطة محو التكاليف الدينية العظيمة التى يقررها العقل والقرآن بالبداهة – وليكونوا متفقين على وجوب العقيدة بموافقتهاوهما للقرآن فى آن واحد . ولكن فات هؤلاء أن العقول الانسانية مهما بلغت من الضعف لاتقبل أبداً أن يكون معنى الاختيار حادث اضطرارى مخلوق فى النفس الانسانية لتعمل عملا مقررا على خطة مرسومة لاتتحداها . فذلك لايسمى اختياراً مطلقا وإن كانوا هم متفقون على اعتباره اضطراراً فى الباطن . لان ذلك أشبه باطلاق لفظ الماء على

النار مع كون الموجود فعلا هى النار لاغيرها . فهذه القسمية تسمى تمحية وإن شئت قل تضليلا إذ الاضطرار أو الجبر هو الواقع فعلا لاغـيره. بحسب فروضهم هذه الوهمية

أما حقيقة تعريف الفعل الاختيارى فهو فعل مايمكن تركه بتمام الاستقلال – فاذا وقع نظرك على تفاحة وبرتقالة ثم أردت أن تختار البرتقالة و تترك التفاحة فمعناه أنه كان فى امكانك قبل أن تأخذ البرتقالة أن تتركها بلا أى مانع وتأخـذ التفاحة بدلها فعلا . فاذا دلت الظواهر انك عاجز أن تترك واحـدة وتأخذ الاخرى بتمام حريتك واستقلالك تلاشى الاختيار وتقرر الاضطرار حتما.. أماقول علماء الاسلام السابقين. إن الفعل الواقع من الانسان هو وحده كان معلقا فى العلم الآلهى فخطأ محض لوجود ضده أيضاً . وأن تخصيص طريق واحد فى العلم الآلهى للعمل الانسانى هو عين الاضطرار – مادام مثبوتا فى الذهن أن الواقع هو المخصص في العلم الآلهى ولا سواه – أما الاختيار فـلا يقال به مطلقاً الا وتسبقه الحرية فى العمل والترك مع وجود طريقين يـترك أحدهما بالحريةويؤخذ الآخر فعلا ..وكلاهما فى العلم الآلهى لايتغير كما فى حكم الواقع سواء

وبسبب ذلك تواجدت التكاليف الآلهية فى الدين وتقرر من الله جزاء البشر فى الدنيا والآخرة على فعل الشر أو فعل الخير

فاذا فعل انسان خيراً فالله تعالى يجازيه بالرغم بالخير بسبب انه كان يمكنه بسهولة ترك هذا الخير ليفعل الشر محله

وبالعكس اذا فعل انسان شرا فالله تعالى يجازيه بالرغم بالشر بسبب أنه كان يمكنه بسهولة ترك هذا الشر ليفعل محله الخير — وإن العلم الآلهى عن كل حادث من الانسان فيه الوجهتين المتضادتين . وحكمها فى العلم الآلهى كحكم الواقع قبل وقوعه بلا فرق أعنى أن المعدوم الذى لا يقع فعلا من الانسان باختياره مثل الواقع فعلا فى العلم الآلهى سواء بسواء

أما تخصيص الواقع فعلا من الانسان بانه وحده فى العلم الآلهى له دون غيره فذلك يؤيد الاضطرار بلا شك وهذا باطل بطلانا تاما بديهيا يؤيده القرآن فى كل آياته . ومن ذلك كان قول بن تيمية الاتى وغيره بعيداً عن الحقيقة :

ولا مخرج للعبد عما به قضى ولكنه مختار حسن وسواءة

ثم من هذه الأوهام تعرف السبب الذى ألجأ أغلب الأمة الاسلامية أن تعتقد « القسمة » أو « الجبر » لا فرق بين عالم وجاهل .

قلنا أن الاختيار هو فعل ما يمكن تركه لفعل غيره . فهكذا فعل الانسان فى هذه الحياة أو ايمانه أو كفره أو اتباعه الاوامر الدينية أو مخالفته لها فان كل ذلك له الخيار المطلق فيه والحرية التامة (الا ما يتجازى به من الله مرغما عن فعل سابق) بحيث اذا وقع منه عملا سيئا أو كفراً فى وقت من الاوقات . فانه فى الوقت نفسه كان يمكنه أن يعمل صالحا بدل السيء ويؤمن بالله عوضاً عن أن يكفر وكلاهما له فى علم الله سواء — فلا ضرورة لأن يقال أنه مكتوب له شيء أزلا محتما عليه فعله . بل يقال أن له فى علم الله أفعال كثيرة مكتوبة لا يقع منها شيء إلا ما وقع عليه

اختياره . ولا أن يقال أن اختياره ظاهرى ومخلوق فيه جبراً من الله تعالى من مثل هذه السفاسف المضادة للطبيعة والعقل والقرآن والحقيقة — لأن ذلك يؤيده القرآن الحكيم فى كل آياته وقد سبق وذكرنا كثيراً من الدلائل والآيات القرآنية المؤيدة لذلك — كقوله تعالى : (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) مما يدل أنه كان يمكنهم استبدال الايمان بالكفر الذى اعتنقوه بحريتهم وأن يتبعوا الرسل عوضاً عن أن يخالفوهم . ولهذا كثرت الأوامر والنواهى الدينية والتبشير والانذار من الله فى القرآن لجر الناس الى رحمة الله بحريتهم . فتبعها البعض وأهملها الآخرون بحريتهم وسيكون جزاؤهم من الله حتما طبقاً لذلك فى الآخرة : (اليوم تجزى كل نفس ماكسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب)

(١٧)

ان آيات القرآن العظيم حكيمة عالية ولكنها أعجزت مشاهير العلماء أن يدركوا حقائقها بالنسبة لهذا الموضوع « القضاء والقدر » فكان فشلهم مؤديا الى فشل أفراد الامة الذين يحترمون كل مايقول العلماء من الاستسلام لجمود الاقدار من كل قلوبهم . فقلما تجد الفرد يهتم لامر فى الحياة الا اضطراراً أو بالارتكان على الغير أو بعامل التحكك فى الامم العاملة الساهرة التى اشترت « الحرية » وانتهاز الفرص فى كل عمل نافع للمدنية وحب الانسانية بدماء الجد والتعقل . فلا ميل طبيعيا عند المسلمين لمبدأ « وجوب التفكر والعمل » ولذا أن همو الامر وجدته

مشوشا وان نفروا لمهمة كثيرا ماتجدها خرافية أو وهمية مكسوة بطلاء مستعار باسم الدين . وكل ذلك ولا شك ناتج من اختمار مبدأه القضاء والقدر » بالمقول بشكل وهمي كاذب . يقول الفيلسوف المسلم الشهير « بن رشد » فى كتابه (فصل المقال) عن موضوع القضاء والقدر مايأتى (وهذه المسألة من أعوص المسائل الشرعية وذلك اذا تؤمل دلائل السمع في ذلك وجدت متعارضة وكذلك حجج المقول) اه هذا ماقال به هذا الفيلسوف من أن التعارض والتضاد موجود فعلا فى المسموع والمعقول سواء فى القرآن والسنة . ولكنى أقول صراحة أنه (لاوجود لهذا الخلاف بالمرة) لافي المسموع ولا فى المعقول

ولقد انقسم قادة الافكار الاسلامية السابقين الى فرق كثيرة فى هذا الموضوع الهام . أهمها ثلاث فرق كبرى كلها مضحكة مبكية لايلتوى العقل فيها الى حقيقة تشبع شره المقول فالله تعالى يقول فى القرآن انه نزل لضم جراح الامم التى تهالكت من كل اختلاف سواء في الاعتقادات والاعمال بل نزل (ليبين للناس ماختلفوا فيه) وانه (تبيانا لكل شيء) ليكون لهم كشمس هادية فى كل اعتقاد . ثم يخاطب الكل فيه بلسان التذكر والمثابرة على التأمل فى عدم الاختلاف بقوله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) ثم يضع لهم مقدما مبدأ البحث فى فهم معانيه المتحدة فى كل عمل واعتقاد بقوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولكنهم خالفوا ذلك بالمرة فتجد شعار المنقطعين للعلوم الدينية فى كل مسئلة وخصوصا فى هذا الموضوع هو شعار : (فيه خلاف) أقول صراحة : كذب

المختلفون وصدق القرآن كلام الله العظيم .

أمر غريب بل أمر يدهش. هل سمعت بكتاب واضح نير كالقرآن الحكيم يفهمه العامي تتيه فيه عقول الفلاسفة والعلماء في موضوع هو أساس كل ارتقاء مادي ومعنوي بل أساس كل عمل « باستقلال النفس » الذاتي. فينقسمون فيه ويخذلون به وتتقهقر الامم الاسلامية أمامه في التاريخ الى هذا الحد المخجل ؟. عجب كثير .. أمر مخجل .. لقد علمت مما أوضحناه في هذه المقدمة على اختلاف الآيات القرآنية أن « لا خلاف » في القرآن في موضوع « القضاء والقدر » بل ولا في غيره وكل تأويل باطل افك على الله والقرآن الحكيم .

(١١)

ان المذاهب الكبرى الثلاثة التي انقسم اليها قادة الافكار الاسلامية هي : اولا مذهب « الجبرية » وهم القائلون بان الانسان « مجبور » من الله تعالى فعلا وتقديراً على كل مايحدث منه سواء له أو عليه . فلا يوجهون لانفسهم حجة أوامر الله تعالى في الدين من اتباع الخير والتباعد عن الشر والكفر فقالوا نحن على أي حال فيهما مجبورون بحكمته مقهورون بمشيئته وقدرته فلو شاء لهدانا . وهذا في الغالب رأي الاكثرين من عامة الامة وخواصها . والثاني مذهب (المعتزلة) وهم الذين اعتقدوا عكس الاعتقاد المتقدم وتمسكوا به وقالوا ان الله تعالى لم يجاز بالشر ولم يقدره في نظامه وأن ليس له تعالى فيه ارادة مطلقا . والثالث مذهب (الاشعرية) وهم الذين ارادوا أن يتوسطوا بين هذين الاعتقادين المتطرفين فقالوا ان

للانسان كسبا للخير والشر مما ولكنهم جعلوا هـذا الكسب بقدرة الله تعالى وارادته الازلية أيضا ونسبوه للانسان تقديراً لا حقيقة لعلة ملامسة ذات الانسان لفعل الخير أو الشر فقط فجعلوه أمام الله تعالى أشبه بقلم الكاتب الذى يكتب فيقال عن القلم انه كاتب لتعرض ذاته للكتابة ولكن حقيقـة الكاتب الذى يكتب هو القابض على القلم نفسه . فهى نسبة تقديرية ليس الا . فان قيل (فعل هذا الانسان خيرا) فهو لتعرض ذاته لهـذا العمل فقط كآلة للفعل ولكن الفاعل فى الحقيقـة هو الله تعالى . وان قيل (فعل هـذا الانسان شراً)فهو لتعرض ذاته لاكتساب الشر فقط كآلة جامدة ولكن الفاعل فى الحقيقة هو الخالق أيضاً . وهذا رأى أغلب العلماء ومتنورى الامة وغرضهم من نسبة العمل للانسان تقديراً لعدم لغو التكاليف الالهية لفظا فقط . فهم فى الباطن تابعون لمذهب « الجبرية » فى الحقيقة كما قال شيخ الاسلام (ابرهيم الباجورى) وغيره كما سبق حيث يقول (وبالجملة فليس للعبد تأثير ما فهو مجبور باطنا مختار ظاهراً فان قيل اذا كان مجبوراً باطنا فلا معنى للاختيار الظاهرى لان الله قد علم وقوع الفعل ولا بد وخلق فى العبد القدرة عليه أجيب بأنه تعالى لا يسئل عما يفعل)

هـذه خلاصة هذه الاعتقادات الثلاثة . وانى أقول صراحـة أنها كلها (باطلة) وأن لا وجود لنتائجها الحقيقية طبقا لهذه الفروض الوهمية . وان نظام الله تعالى فى القرآن الحكيم فيما يختص باكتساب الانسان وعلاقته بالله تعالى فوق كل ذلك . بل ما فى القرآن الحكيم من هذا المقصد

يطابق العقل فى كل مراقيه العالية والتقدم الانسانى اللامتناهى مع ثبوت عزة الله تعالى وكماله وعدله فى كل حال لا فرضا ولا تأدبا كما يتوهمون . . بل يسير الكمال العقلى والقرآن فى هذا الموضوع جنبا لجنب متآخيان وبشرط أن تتحد جميع آيات القرآن الحكيم فى هذا المقصد اتحاداً محكما بحيث لانرى رائحة بسيطة من رائحة التضاد المزعوم فى أى آية بالنسبة للأخرى كما هو واضح مما أيدناه في هذه المقدمة وترى النتيجة العامة هى قول الله تعالى « وأن ليس للانسان الا ماسعى » بتمام « حريته » واختياره الذاتى باستقلال تام سواء فى فعل الخير أو الشر وأنه لايصاب من الله تعالى بشئ من خير أو شر الا جزاء حقا عما عمل هذا الانسان بحريته التامة فى كل منهما « وما تجزون الا ما كنتم تعملون »

أما عدم ملاءمة هذه المذاهب الثلاثة للحقيقة والقرآن والعقل فواضح بديهى « فالجبر » من الله تعالى على الانسان فى كل ما يعمل لا وجود له مطلقا بالبداهة العقلية وحرية الانسان الواضحة فى الاكتساب وكل الآيات القرآنية تؤيد ذلك مما يجعل الانفراد بهذا الاعتقاد محال . . . وكذا فرض « المعتزلة » فهو محال أيضاً لأن الله تعالى فتح للانسان الطريقين فى وقت واحد « وهديناه النجدين » وان من أراد الكفر بحريته محال أن يرده الله تعالى الى الايمان الا اذا رجع اليه بحريته كما أنه تعالى يجازى بالشر وقدره لمن يختار الكفر بحريته المذكورة « وهل نجازى إلا الكفور » أو يعمل عملا ما يستحق الجزاء « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله » وكل ذلك ينفى فرض المعتزلة نفياً قاطعاً أيضاً . . وأما

مذهب « الاشعرية » الذين يريدون جمع هذين الطرفين المتضادين فهو أكثر « استحالة » منهما . لأن من النظريات الطبيعية الثابتة أن الجمع بين الضدين فى وقت واحد وذات واحدة محال . . فمع فرضهم الغير مقبول طبيعة وعقلا من أول وهلة فهو باطل أيضاً لأنه يرجع بطبيعة العقل والحقيقة الى مذهب « الجبرية » وان كان فيه « فرضاً » نوع اكتساب نسبي أو تقديرى للانسان . قال الفيلسوف « بن رشد » عن مذهب « الاشعرية » وعدم انطباقه على الحقيقة ما يأتى : وأما التوسط الذى تروم الاشعريه ان تكون هى صاحبة الحق بوجوده فليس له وجود أصلا إذ لا يجعلون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذى يدركه الانسان من حركة يده عند الرعشة وتحريك يده باختياره فانه لا معنى لاعترافهم بهذا الفرق إذ قالوا ان الحركتين ليستا من قبلنا . لانه اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة على الامتناع منها فنحن مضطرون . »

(١٩)

ونحن نقول ان الصعوبات الكثيرة التى افترضها بن رشد نفسه . وغيره من الفلاسفة أو أرباب هذه المذاهب الثلاثة للتوفيق بين مذاهبهم والقرآن والعقل والحقيقة مما أقسم القرآن على نفسه مع أنه بعكس ذلك وهو بعيد عن مقاصدهم المتضادة . . ونحن لا نريد ان نذكر كل الوجوه التى يذكرها كل فريق فقد كتب فيه كثيرون يرجع اليه كل من أراد الوقوف عليه . . . ولكنهم جميعاً رجعوا القهقرى عن الحقيقة كما أشرنا الى خلاصة مذاهبهم باختصار . . حتى اعتبر كثيرون من العقلاء ان هذه

المسألة « غير قابلة للحل » فكانت هزيمة قادة الافكار أمام أسوار حصارها « هزيمة كبرى » أسرار حقائقها كانت لم تزل غامضة عنهم للآن . . . وان عدم اختلاف الآيات القرآنية فى معانيها بالنسبة لهـذا الموضوع كما يقول القرآن : « ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » . أمر كان يعد فوق العقول البشرية عندهم للآن أيضا . .

هذا أمر غريب . . بل مدهش أيضا . . أن يقول القرآن « لا خلاف » وان يصرح الكل بعده بالقول (فيه خلاف) أو يقولون ان كان لا خلاف كما هو الصحيح فنحن عجزنا عن التوفيق بين آياته . . نعم . . عجز الجميع عن الوصول الى اكتناه الحقيقة للتوفيق بين العقل والحقيقة والقرآن . . وآخرهم من صرح بهذا (العجز) هو ذلك الفاضل العلامة الشيخ (محمد عبده) فقد اكتفى هو أيضاً بهزيمة السالفين ولم يبد رأيا قاطعاً من القرآن بالنسبة لهذا الموضوع . . ولم يبت فيه قولا غير أنه أبدى رأيا عقلياً محضا خلاصته : (ان للانسان اكتسابا وارادة مستقلة ولكن الله تعالى له قوة قد تكون فوق ارادته احيانا) وهذا الرأى بالطبع حق بديهى للعقل للكل . . غير ان الضالة المنشودة هى : كيف نطبق آيات الله تعالى كلها فى القرآن العظيم مع هـذه الحقائق العقلية المشاهدة ؟ بل كيف يوجد شئ فى الدين هو اساس السعادة والشقاء يسمى (القضاء والقدر) ثم يترك بلا حل ليتخذ منه كل فرد رأيا حسب أهوائه مما عرض جوهر القرآن للانقسام والنسف الذى يتبرأ منه الى الأبد ؟ حتى أثر هـذا الفشل فى جسم الامة ورمت نفسها منه فى احضان الجمود . . أقول أن ما أراه بالمعقول المحض الذى يرتاح

له الضمير والحقيقة يسير فى هذا الموضوع مع القرآن الحكيم متآخيا الى النهاية . . . ولكنه رحمه الله أعرض عن هذا التوفيق كغيره من العقلاء الذين رأوا أن التوافق مع فروض وهمية لا توافق العقل والحقيقة توجب اتساع الخرق مع كونه رأى ان السالفين لم يتركوا بابا الا طرقوه للحل وكانت نتيجتهم الفشل أيضا . . . قال فى كتابه : (رسالة التوحيد) عن ذلك ما يأتى : (ان البحث فيما وراء ذلك) أى وراء رأيه العقلى السالف الذى ذكرناه) من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من احاطة علم الله تعالى وارادته وبين ما تشهد به البداهة من علم المختار فيما وقع عليه الاختيار هو من طلب سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه لأنه اشتغال بما لا تكاد تصل العقول اليه . . وقد خاض فيه الغالون من كل ملة خصوصا من المسيحيين والمسلمين ثم لم يزالوا بعد طول الجدال وقوفا حيث ابتدأوا وغاية مافعلوا ان فرقوا وشتتوا فمنهم القائل بسلطة العبد على جميع أفعاله واستقلالها المطلق وهو غرور ظاهر ومنهم من قال (بالجبر) وهو هدم للشريعة ومحو للتكاليف وابطال لحكم العقل البديهى وهو عماد الايمان اه)

هذا ماقاله المرحوم الشيخ محمد عبده . . ونحن نقول ان هذا التوفيق الذى يقول عنه صار الآن بما أوضحناه فى هذه المقدمة . واضحا كالشمس وان هذه العقدة الدينية بما سنذكره فى الاجزاء الآتية من علم القضاء والقدر المذكور صار حلها الآن بفضل من الله حلا نهائيا مرضيا (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون)

ولنبدأ بالجزء الأول وبالله التوفيق

مؤلفات المؤلف

	الثمن
	ص
فلسفة الاسلام ومدنية القرآن أول	١٠
« « « « ثاني	٨
رسالة دستور الاسلام	١
مقدمة علم القضاء والقدر أو سر	
تأخر الامم الاسلاميه	٤
علم القضاء والقدر أول	٣
« « « ثاني	٣

﴿ اعلان مهم ﴾

المؤلف مستعد للاجابة مجانا على كل سؤال أو أسئلة في موضوع القضاء والقدر مهما كانت بالصحف او البوستة او الاندية . وتطلب هذه الكتب منه بعنوانه شارع زكي باشا ٣٦ حلوان الحمامات

كتاب

في علم القضاء و القدر

تأليف

احمد بدوي النقاش

الجزء الاول

(وقل الحق من ربكم : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

— إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم —

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

الطبعة الاولى سنة ١٩٢٨ م

كتاب

في علم القضاء والقدر

تأليف

احمد بدوي النقاش

الجزء الاول

(وقل الحق من ربكم : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

— إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم —

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

الطبعة الاولى سنة ١٩٢٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

علم القضاء والقدر

س ماهو علم القضاء والقدر

ج هو علم باصول به نعرف عدل الله تعالى وحكمته العالية عن الواقع من الحوادث العالميه بمطابقة ذلك للآيات القرآنية الحكيمة بحيث لا يكون اختلاف بينها مطلقا .

— ٢ —

س وما هى أصوله ؟

ج اصوله خمسة

(١) الايمان بالله تعالى والاخلاص اليه

(٢) تنزيه الله تعالى تنزيهاً كاملاً فى كل بحث

(٣) عدم الشك فى الله تعالى بسوء الظن وعدم نسبة الظلم اليه تعالى ظاهراً وباطنا

(٤) عدم وجود آيات قرآنية تختلف مع بعضها فى معانيها ظاهرا وباطنا عند تطبيق الحوادث على القرآن

(٥) كمال الله الذاتى فى وجوده الاسمى عند البحث والتطبيق

— ٣ —

تعريف كل من القضاء والقدر

اما القضاء فهو الحكم الالهى الصادر منه تعالى بحيثيات عادله معقوله لا تتعارض مطلقا الا مع العقل ولا القرآن الحكيم عندما تكون لنا معلومة

اما القدر فهو النتيجة الفعلية المترتبه على حيثيات هذا الحكم العادل

واما ان كانت الاسباب مجهولة فيكفى فيها التسليم لله والايمان بعدالتها النهائية ولو مستقبلا .

« مثال ذلك »

قوله تعالى : وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا

فهذا حكم الهى في حادث معين او قضاء وقدر معلوم فيمكنك ان تقول عنه : حيث ان الله تعالى خلق الناس من العدم . . وحيث انه تعالى امدهم بنعمة العقل والبصر والسمع والحواس الاخرى . . وحيث انه تعالى رزقهم ويمدهم بكثير من النعم التى لا تحصى « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وحيث انه تعالى نوه عن بعض هـذه النعم فى قوله تعالى : « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيـه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وماذراء لكم فى الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى

الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (النحل) فبناء على هـذه الحيثيات الماضيه يكون قضاؤه عدلاً وحكمه بالعبادة على الناس حكما عادلا لا شبهة فيـه وهو القدر المترتب على القضاء الحق السالف بحيثياته المذكورة وهكذا يمكنك ان تقول عن قضاء الله تعالى وقدره فى الاحسان للوالدين ثم قوله تعالى فى آيات اخرى كالآتيه :

وقضينا الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا . ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعدالآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيراً عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً . وقال تعالى ايضا عن بعض حوادث معلومة فى الكتاب وسر القدر فيها (سورة الكهف) فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشداً . قال انك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً . قال ستجدنى ان شاء الله صابراً ولا أعصى لك امراً . قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً . فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امراً . قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبراً قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسراً . فانطلقا حتى اذا لقيا

غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبراً . قال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً . فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك سانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً . اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة واقرب رحماً . واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً . فكل هذه الآيات الماضية تدل على قضاء الله تعالى وقدره فى الحوادث الشاملة لها بحيثيات يؤيدها العقل والعدالة والرحمة وان اقدارها حكيمة ايضا مراعيا فيها ربك الرحمة على عباده للمتأمل المفكر البصير وهكذا قضاؤه وقدره في جميع الاحوال معلومة أسبابها أو مجهولة . ان الله بالناس لرؤوف رحيم .

— ٤ —

من أين أخذ هذا العلم

هذا العلم أخذ من القرآن الحكيم ومن التأمل العميق فى آياته الحكيمة بسبب اختلاف المسلمين وغيرهم فى عقيدة القدر القديمة وعدم

اهتدائهم الى الحق فيها . وان هذا العلم يحل هذه المضلة المويصة حلا نهائيا ويتفق مع جميع الآيات القرآنية ونظام العالم اجمع فى جميع تقلباته من الازل الى الابد ويقضى قضاء مبرما على اختلاف المذاهب الاعتقادية وينير الطريق امام كل من يريد لنفسه السعادة الابدية لان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم .

— ٥ —

«باب الدخول فى هذا العلم»

لعلم القضاء والقدر باب فى كتاب الله يجب الدخول منه لا من غيره لان الباحث اذا لم يدخل منه ربما يضل الطريق وهذا الباب هو وجوب الجواب على خمس اسئلة بالعقل قرر الله تعالى ان تجاوب عنها كل نفس ترغب معرفة هذا العلم الموصل لمعرفة الله ونوره وهدايته والايمان به وهذه الاسئلة هى:

(١) فضل العقل وهل يوصلنا لمعرفة الله تعالى ؟ والايمان به ؟

(٢) لماذا خلق الله السموات والارض وما بينهما ؟

(٣) لماذا خلق الله السموات والارض وما بينهما «بالحق» ؟

(٤) لماذا خلق الله السموات والارض وما بينهما بالحق واجل مسمى» ؟

(٥) ماذا كتب الله عنده لكل مخلوق فى ام الكتاب بعد الجواب على كل ما تقدم ؟

وهذه الاسئلة الخمسة مأخوذة من قول الله تعالى فى الآية :

(١) اولم يتفكروا فى انفسهم (٢) ماخلق الله السموات والارض وما بينهما (٣) الا بالحق (٤) واجل مسمى ؟ (الروم)

— ٦ —

جواب السؤال الاول

اما فضل العقل فلا ينكر من أحد مطلقا فبتأملاته الحقه فى السماء والارض يعرف الانسان ان للخالق صانعا حكيما : قادراً عظيما عليما : مدهشا وقد ذكر الله كثيرا فى الكتاب فضائل العقل والتعقل فقال تعالى : قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون وقال تعالى : ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون ـ وقال تعالى ايضا وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ـ وقال تعالى ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى فاقصص القصص لعلهم يتفكرون فكل ذلك يثبت فضل العقل والتفكر وبه يتوصل الانسان لمعرفة الله وتمجيده والايمان به أيضا فاساس الايمان بالله تعالى وحق تقديره يرجع الى العقل قبل كل شئ فى العالم .

— ٧ —

جواب السؤال الثانى

اما جواب السؤال الثانى وهو لماذا خلق الله السموات والارض وما بينهما؟ . . فهو بديهى يعترف به العقل وحده ايضا وهو انه تعالى كامل فى صفاته قادر على هذا الخلق . . . وتحت تصرفه فى كل وقت ان يخلق امثاله . ثم لانه تعالى له ارادة حرة واستقلال ذاتى فى وجوده الاسمى يترجم عنهما وجود هذا العالم المنظم الهائل ايضا عند البحث العقلى فى محتوياته وآياته وانه وحده لاشريك له فيه ولا منافس (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وان كلمة واحدة منه تعالى كافية لايجاده من العدم هو وامثاله كالآية لانما قولنا لشيء اذا

اردناه ان تقول له كن فيكون)فسبحان الخلاق القادر العليم وبسبب خلقهم كان(رب العالمين) حقاً

— ٨ —

جواب السؤال الثالث (الخلق بالحق)

اما الحق الذى يعترف به العقل ويقره بعد هذا الخلق الجميل فينقسم الى قسمين قسم خاص بالخالق :وهو وحدة الوهيته الازلية الابدية بلا شريك وقسم خاص بالمخلوق وهو لزوم عبوديته الابدية للخالق بلا منازع« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »ولان الله تعالى فى ذاته صمد قائم بذاته غير محتاج لاحد (ان الله غنى عن العالمين)ولان المخلوق دائما وأبدا محتاج لخالقه فى كل شيء للمزيد من النعم الى مالانهاية له(ياأيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد)ولذا كانت الوهية الله تعالى وعبودية المخلوقات اول حق تقدس عقلا وعند الله ايضا فاذا قيل لماذا كان الخلق بالحق؟فالجواب لالوهية الله وعبودية الخلق المذكور. ولكن بشرط يناسب كمال الله الذاتى.. فما هو هذا الشرط ؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال نذكر مثلا بسيطا لتقريب الفهم عن ذلك

— ٩ —

شرط العبادة (الحرية) التامة للعبد

افرض ان عندك خادم فى المنزل يخدمك وقد احطته بعنايتك وعطاياك الكثيرة فهل تقبل على نفسك ان تضرب هذا الخادم او تضطره لياتيك خاشعا شاكرا لنعمتك ومساعدتك له ؟ او تفضل ان يفعل ذلك بحريته

التامة واستقلاله ؟ الجواب هو الاخير طبعا ... حفظا لكرامة النفس المخدومة . . وهكذا الله تعالى . . . فلقد انعم على كل مخلوق بنعمة الوجود من العدم واحاطه بكل حفظ وعناية ونعم ودوام حياة... وسيستمر على ذلك في الحياة الثانية الى مالانهاية من العطاء والنعم في الآخرة . فمع ان الله تعالى مستغن عن كل مخلوق وعن عبادته . افلا اقل من ان يتقدم هذا العبد لربه خاشعاً بكلمة شكر على هذه النعم التي لاحد لها ما دام وضع خلقته من ربه كاملا يمكنه من ادراك هذا الواجب المقدس ؟ . . نعم ! ! هذا واجب حق لا مفر منه يدركه العقل ويقره . . . فان كان الله تعالى في وجوده آله حق فالمخلوق أيا كان عليه واجب الشكر (حق أيضا) وواجب محتم

— ١٠ —

﴿ عزة الله وكرامة نفسه ﴾

ولكن الله تعالى لكماله الذاتي من جهة أخرى وعزة نفسه العالية الابية وكرامة نفسه الجليلة وكبريائه الحق . . . والوهيته اللامتناهية . . . ونزاهته التامة . . وعدله الشامل المطلق . . . لا يقبل من أي مخلوق شكراً إلا اذا تقدم المخلوق بنفسه لأدائه وخشع من نفسه لكبرياء الله بأن يقر بهذا الواجب المقدس علامة على حسن خلقته وجمال وضعه الذاتي بيد ربه ، . من غير دافع ولا تأثير عليه ظاهرا وباطناً . .لا من خالقه ولا من غيره . . ولهذا قرر الله تعالى حقا آخر :هو منح كل مخلوق (حريته) الكاملة بعد اتمام خلقه وسبقت كلمة حق منه تعالى بعدم مساس هذه الحرية

إلا بالحق (ولولا كلمة سبقت من ربك) فكانت (الحرية) أول حق مقدس من الله لكل مخلوق ... فان قيل لماذا خلق الله السموات والارض بالحق ؟ فالجواب لتعبد الله بتمام حريتها . للأسباب المذكورة

— ١١ —

الجواب الرابع

(الحر المستقل لا يتقيد بشيء) الخلق لاجل مسمى ! لماذا ؟

والآن نقول: لماذا خلق الله السموات والأرض ومابينهما بالحق (وأجل مسمى) ؟ . فقد قال تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فبين سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن منحه حق الحرية للأنسان وعدم مساسها فيه تستوجب عدم التقيد منه بعبادة الله وهو ماسنحت له الحرية إلا لأجلها . . . فمن ذا الذى يمنع المخلوق أو الانسان هذا من الكفر والتعدى على الله تعالى خالقه ولو بالاشارة ؟ . بان يسيء استعمال هذا الحق إذا كان الله تعالى قرر عدم مس هذه الحرية لغرض الشكر المذكور !.. (ولولا كلمة سبقت من ربك) . الجواب ـ لاشيء يمنعه مطلقا .. ولذا قرر سبحانه وتعالى حقا آخر بعد حق (منح الحرية) للمخلوق وهو : احتجاب ذاته القدسية أولا ... حفظا لكرامتها العالية من المس ولو بالخيال (لا تدركه الابصار) .. ثم تحديد مدة الشكر أو العبادة لزمن قصير وجعله (أجلا مسمى) عنده ـ حتى إذا مضاه المخلوق بالشكر لله حقاً كان بها .. وصار مستحقاً دوام النعمة لنفسه (والله غنى عن العالمين) . .وإن مضاه المخلوق بالكفر وعداوة الله باطلا كان بها على

نفسه أيضا .. فعندها (بحق) يحرم مما منحه الله من النعم الوقتية التي لم يكن الشكر حقا إلا بها .. ثم يحرم يوم القيامة حتى من السمع والبصر والعقل فيرتد بكفره إلى أسفل سافلين (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) وليس له عند الله بعد الكفر والإصرار عليه غير حق يحيي فيه محروما من كل نعمة وهذا الحق هو (النار) (إن عذابها كان غراما) ... ولذا كان الخلق (لأجل مسمى) محدد ليضع كل مخلوق نفسه فيما يخلو لنفسه من نعمة أو حرمان . فكان نظاما عادلا حقا لا ريب فيه خصوصا بعد إعلانه وتأييده بالرسل والكتب السماوية .

ويرى المطالع أن الاستنتاجات السالفة متوالية بعضها من بعض وهي حقايق عقلية لاريب فيها حضنا الله تعالى في كتابه لاستنتاجها بعقولنا الخاصة كالآية : (أو لم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) . . . فهي من جهة العقل حق . . ومن جهة مطابقتها للقرآن حق . ومن جهة العدالة الآلهية وكمال الله وحسن النظام حق أيضا . . . وماذا بعد الحق إلا الضلال ! ! . فاذا قيل اذاً . . لماذا خلق الله السموات والارض وما بينهما بالحق وأجل مسمى ؟ فالجواب : هو ليؤمن المخلوق أو الانسان بالله تعالى ويعبده بحريته في زمن معلوم أو يكفر بالله وبنعمته بحريته أيضا تحت مسئوليته الشخصية

ومن هذه النتائج الماضية سيتولد معنا نتائج حق أخرى سنذكرها بعد لنعلم أن ألوهية الله تعالى وعبادته في العالم هي علة العالم (وأصل حق) لنظام العالم المحكم .

ثم اول ما يتبادر الى الذهن بعد ما تقدم هو السؤال الآتى : ما هو علم الله تعالى وارادته عن كل مخلوق فى العالم ملكه الله تعالى هذه « الحرية الكاملة » للايمان او الكفر به؟ فنجاوب بالعقل مستندين بالقرآن الحكيم كمادتنا ومبدئنا فيما يأتى :

— ١٣ —

الجواب الخامس

(لله تعالى علمان لكل مخلوق ـ علم للأيمان وعلم للكفر)

« وإرادة للأختيار بينهما »

قلنا فى المقال الأخير الماضى أن المخلوق حر مطلق فى إيمانه وكفره والله العليم بكل شىء والحاسب لكل صغيرة وكبيرة لم يغفل ماقرره فى كتابه العزيز وبيناه الآن ..حيث قرر لكل حالة مايليق لها فى دائرة علمه الواسع (فجعل لكل مخلوق بالبداهة علمان عنده بل وكتبهما فى أم الكتاب أو اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه..وتلك الكتابة هى عن الايمان أو الكفر به ليتخذ الانسان منهما مايريد لنفسه.. وبتعبير آخر كتب له حالتى الطاعة اليه والعصيان.أو نقول انه تعالى جعل له علمان متضادان علم لليمين وعلم للشمال إن أردنا التعبير عن الايمان باليمين والكفر بالشمال . ولا يصح بحال من الأحوال أن يقال ان المخلوق خلق للكفر وحده ..وتقدم هذا على الأيمان بل ماسبق ذكره يؤيد بلا شك أن المخلوق لم يخلق إلا لغرض الايمان وحده . . والكفر ما كان إلا من قرار حق لله .. هو آداء هذا الايمان (بالحرية الكاملة فصار الايمان أصل والكفر تابع له ولكنه حق تحتم أيضا

بسبب الحرية المذكورة إذ بدون الكفر لايعلم المخلوق انه حر مطلق في الايمان المقدس . وعليه صار لكل مخلوق عند الله علمان يسير بينهما في كل لحظة من لحظات حياته المحدودة كخطين متوازيين أو كشريط السكة الحديد هو محصور بينهما في كل حين.. يسير في أحدهما أو في كل منهما بالتناوب بحريته المطلقة كالآية (ثم السبيل يسره) وكالآية (وهديناه النجدين) وكالآية (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا) ومن المحال أن يكون المخلوق شاكراً لله وكفوراً في وقت واحد .

— ١٢ —

علم الغيب والشهادة

أو الحوادث الواقعة والحوادث المجهولة

إن شكر المخلوق ربه بنفسه فقد ظهر له علم من علم الله بالشكر المذكور وأختفى عنه في الوقت نفسه علم من علم الله بالكفر.. ثم اذا كفر بعد ذلك فهو حر في كفره أيضاً . وقد ظهر له علم كان له مكتوبا بالكفر في علم الله تعالى وفي الوقت ذاته اختفى عنه علم من علم الله كان له مكتوبا في الايمان فهو مختار أو مخير بأرادة الله بين الايمان والكفر تحت مشيئته الشخصية في كل لحظة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وعلى كل حال يتقرر حتما مما ذكرناه إن للانسان أو المخلوق عند الله (علم شهادة) أو علم يظهر تحت اختياره الواقع الحر بجميع الأعمال الخيرية الدالة على الايمان مثلا ويقابله بالعكس علم غائب مضاد له كان له ولم يختره بالفعل والعكس بالعكس .. لأنه يستحيل عليه اختيار متضادين في وقت واحد كفراً وايماناً أو خيراً

وشراً . ولكن الله تعالى يعلمهما عنه في كل لحظة معاً . . ومنه قال تعالى حقا : (عالم الغيب والشهادة) وقال تعالى أن الغيب هذا (أى غير الواقع كفراً وإيمانا) لا يظهره لأحد كالآية (فلا يظهر على غيبه أحدا) لأن سعة العلم يختص بها الله دون مخلوق فى العالم إذ هو بكل شىء عليم . ولا يجازى الله مخلوقا إلا بقدر عمله الاختيارى (الواقع فعلا) (وما ربك بظلام للعبيد) (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بقطع النظر عن الأعمال الأخرى المكتوبة له عند الله وتركها فى أوقاتها لعدم وقوع اختياره عليها

— ١٤ —

سعة علم الله ـ ولكل درجات مما عملوا

خلق الله لنا مافى السموات والارض عبرة لنفهم منه قدرته العالية وسعة علمه اللامتناهية . . فانظر الى أنواع الثمار . فكم من الانواع تحصرها وكم من الانواع تتشابه . . وأنظر الى انواع الازهار المختلفة وجمالها كم هى أنواع متقاربة مختلفة متشابهة . ثم ارجع البصر الى البحار وتأمل فى أنواع الاسماك وكم يوجد فيهما من الانواع المتقاربة المتشابهة ـ انك لتجد الشىء الكثير الدال على عظمة الله وقدرته وسعة علمه وحكمته ـ فهل هذا العلم يقصر أو يضيق اذا وصل الى الانسان العاقل واعماله الكثيرة من جهة ربه ؟ كلا . ثم كلا . فقد قلنا أن للانسان علمان عند الله علم للايمان وعلم للكفر هما تحت مشيئته فى كل لحظة ـ فهل يضيق علم الله حتى يكون لهذا الانسان نوع واحد ؟ . . وقد سبق وأوضحنا كيف يتسع علمه تعالى

فى كل شىء عن الثمار والاسماك وغيرها !! الحق ان الانسان اذا نفذ عملا ما من أعماله الايمانية أو الكفريه فله منها درجات منوعه تحت مشيئته وله من عقله وفكره الجوال البحاث ما يمكنه اختيار الأحسن منها أو الاقل أو الأدنى أو . . . بحسب ماتميل اليه نفسه الحرة . . وله عند ربه وفى علمه هذا كل مايطلب ويعقل أو يظن ويسأل (وآتاكم من كل ماسألتموه) بدرجاته (فمن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) فالعلم للانسان عند الله متنوع متفرع متضاد وكل نوع له درجات صاعدة فى الارتقاء ونازلة فى الهبوط والسفالة والارادة الانسانية الحرة) هى التى تعلى أو تهبط بنفسها فى درجات ذلك العلم الواسع بعملها الحر بين الخير والشر أو الكفر والايمان ليكون لها ما اختارت بحريتها الكاملة ومنه قال تعالى حقاً (ولكل درجات مما عملوا) وقل ذلك عن كل مخلوق خر فى العالم غير الانسان ولا تنس قوله تعالى (وسع ربى كل شىء علماً) (وهو بكل شىء عليم) .

(١٥)

« لا يعلم الله اختيار الانسان »

(الا بعد وقوعه فعلاً)

لا يعلم الله تعالى عن الانسان أو المخلوق مهما كان شيئاً واحداً لا تأتى له الا وهو (الاختيار) الواقع منه مدة حياته الوقتية الا بعد ولادته

فى الحياة فعلا واتمام خلقه لانه تعالى لم يخلقه الا ليعلم عنه أو منه هـذا الاختيار الواقع ولهذه العـلة الهامة كتب الله تعالى على نفسه (الرقابة) على المخلوق قبل وجوده كما (كتب على نفسه الرحمة) و من ذلك قوله تعالى (ان الله كان عليكم رقيبا) . . لا لسبب آخر الا لان الله تعالى لا يعلم اختيار الانسان أو المخلوق الا بعد ايجاده فعلا ووقوعه منه فعلاً لانه اذا علم لله قبل وجود الانسان فعلا ماسمى (اختيارا) لان عدم علم الله بالاختيار (لا بالمختار) هو (الحق) والعدل الذى قرره الله ان يكون .. لانه الغرض الاساسى الاول من وجود الخلق أو الانسان كالآية (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فماذا نقول بعد هذه الارادة الربانية العادلة الذى لا تخصيص فيها لأحد !!

والاختيار المذكور هو بخلاف المختار لان الاختيار الانسانى شيء والمختار نفسه أى الذى وقع عليه الاختيار من الحوادث والأعمال المختلفة شيء آخر — فالاختيار يمكنك أن تعبر عنه (بميل النفس) لاحد الجهتين الأيمان أو الكفر .. لانه لا يمكن للانسان الميل للجهتين فى وقت واحد لانهما متضادتين وهو لم يخلق بيد الله الا ليختار أو يميل لأحد الجهتين بنفسه أو الى كل منهما بالتناوب حتى ينتهى أجله .. لانه اذا تعينت جهة واحدة وتخصصت من الله .. انعدم الاختيار ولغى الفرض الحق من الوجود

ويمكنك أن تعبر عن هذا الاختيار (بالنيه) أو بميل القلب لاحد الجهتين كالحديث (ولكل امرىء ما نوى) أى الى اليمين أو الشمال أو الايمان أو الكفر كالآية (ما جعل الله لرجـل من قلبين فى جوفه)

أما المختار نفسه فى احدى الجهتين من الحوادث العملية قلت وكثرت فهو معلوم لله تعالى قبل خلق الانسان أو المخلوق بل ومكتوب عنده تعالى فى أم الكتاب او اللوح المحفوظ بنوعيه ايمانا وكفراً او طاعة وعصيانا مع تفصيلاته و تنوعاته الكثيرة التى يعجز العقل البشرى عن حصر انواعها ودرجاتها (وهذه النقطة هى التى اضلت الافهام قرونا واتخذها الشيطان سلاحا للفتنة)وبجانب كل مختار تميل اليه النفس او تنوى عليه جزاءه العدل يوقعه الله تعالى على هذا الانسان فوراً بعد اختياره المذكور فعلاً (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) (لها ما كسبت) اى من الايمان او من اليمين (وعليها ما اكتسبت) اى من الشمال او من الكفر او من العصيان .. وهذه الجزآت مكتوبة له قبل الخلق كالآية: (ما اصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها) على شرط ان وقعت اصابة فى طريق محى الله ما يقابلها من الطريق المضاد . لان ارادة الله قضت بالخيار بين متضادين فى كل وقت والانسان تحت رقابة الله حتى يعلم عنه ما يختار كما قال تعالى عمن ضيعوا ايمانهم باختيارهم الكفر أخيراً : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) ولذا لا يعلم الله اختيار الانسان الا بالمراقبة الالهية بوقوعه فعلاً وهو سبحانه ما زال بكل شيء عليم . قبل الاختيار و بعده .

— ١٦ —

(الرقابة الالهية على كل مخلوق)

كتب الله تعالى على نفسه (الرقابة) على المخلوقات ومنها الانسان وشدد تلك الرقابة مدة حياة المخلوق الاختيارية فقال تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وأن سبب هذا التشديد فى الرقابة على كل نفس بما تختار وعدم الغفلة عنها هو لتفهيم من يسىء الظن أو يشك فى علم الله تعالى (عن كل شىء) ان اختيار الانسان الحر الذى لم يعلمه الله تعالى الا بعد وقوعه فعلا قد احتاط له الله قبل وجود المخلوق بان كتب على نفسه (الرقابة) المستديمة وانه تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) وانه تعالى لا يغفل لحظة عن هذه الرقابة حتى يجازى بالعدل كل نفس بما تعمل وتختار من احد الجهتين المتروكتين لحرية هذا المخلوق المطلقه (وما الله بغافل عما تعملون)

— ١٧ —

(امتحان المؤمنين ليعلم الله الاختيار ايضاً)

(فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

جعل الله تعالى الحياة بنظامات ثابتة لا تتغير فالطفل الذى يولد صغيراً لا يصير رجلا دفعة واحدة بل يتدرج فى النمو التدريجى لحظة فلحظه فيكبر بالتدريج يوماً فيوماً ثم سنه فسنه بنسبه تصاعديه بطيئة فاذا مضت المدة الكافية عليه لان ينمو نموه الكافى حتى يصير رجلا

كاملاً فمحال ان يرجع بعد ذلك طفلا ثانياً ـ فالنظامات الالهية تفعل فعلها الفطرى التى خلقها الله عليها طرداً وعكساً صعوداً ونزولاً ايضا. كالرجل الشديد القوى الذى يعتريه المرض فهو يضعف بالتدريج حسب نظام المرض حتى اذا لم يعد قادراً بفطرته على مقاومة الموت اماته الله تعالى اذا اراد فيفنى .. والغرض من هذين المثالين تقريب الذهن لفهم نظامات الله العالميه فى كل شىء فالرجل الذى يؤمن بالله تعالى يوما ليس كالذى يؤمن بالله يومين والرجل الذى يصلى لله يوما ليس كالذى يصلى يومين . والرجل الذى يكفر بالله شهرا ليس كالذى يكفر بالله شهرين ..وهكذا .. فبعض الناس يكفر بالله في هذه الحياة ويستمر الكفر ينمو فى نفسه حتى يصير فيه طبعاً لا يمكنك ارجاعه عنه لتأصله فيه كبعض الذين قال الله عنهم :(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) وهذا لتركهم ما كتب الله لهم عنده من الايمان فلم ينقذوقواطعه بحريتهم حتى صار الكفر طبعا لهم وقل بعكس ذلك عن غيرهم . كابراهيم الخليل عليه السلام.. فانظر كيف ثبت على ايمانه على هول ما ابتلاه الله به ليمتحن ايمانه فى ذبح ابنه لمجرد الرؤيا الآلهية الصحيحة فى المنام ... حتى قال عنه تعالى اجلالا لثباته على الايمان بالله والاخلاص اليه (ذلك هو البلاء المبين) مع ان والده كان كافرا ولذلك قضى الله تعالى وقدر في نظامه الذى جعله بين الناس امتحان المؤمن فى ايمانه بأى وسيلة من الوسائل التى يراها مؤدية لذلك فى الوسط الذى يكونون فيه... حتى يعلم الله منه من جديد عند اختياره .هل هذا المؤمن يثبت بالامتحان أو الفتنة

على إيمانه الذى تحصل عليه حتى وقت الفتنة ؟. أم يرجع منه إلى الكفر المفتوح امامه وتحت حريته ؟. كالآية : (أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ... ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا. وليعلمن الكاذبين). وهنا نقول للذين يضلون الأمة بغير علم ويفترون على الله الكذب . . . هل كان الله تعالى يعلم صدق أيمانهم قبل الفتنة من الأزل كما يدعون ؟ . . . كلا . . لا يعلم الله صدق ايمانهم الا بعد الفتنة ووقوعها . . وهذا العلم تم بالمراقبة التى لا يغفل لله تعالى عنها لهم فى الدنيا لانه تعالى أراد اختيارهم أزلا والاختيار معناه حدث جديد لم يعلمه إلا بعد وقوعه فعلاً بعد خلق الذى يختار لا قبل ايجاده وخلقه والا ما سمى اختياراً . والعلم المقصود هنا هو تعيين جهة معينة تعيينا نهائياً وترك أخرى تركا أبديا فى الدنيا للحساب والعقاب والجزاء مستقبلا وهما مكتوبين ومعلومين لله من قبل الخلق. واذاً فالعلم الجديد الذى يطلبه الله تعالى هو تخصيص أحد الجهتين بالمخلوق نفسه ليكون مسئولا عن هذا التخصيص شخصياً. وحتى يساءل عن ذلك يوم القيامة ويقال له : لماذا اخترت بنفسك هذا المعلوم لله أزلا ؟. وتركت هذا المعلوم لله الثانى من الأزل : فالأول الذى وقع عليه الاختيار صار مخصصا له فى عالم الشهادة بوقوعه فعلا بعد أن كان تحت اختياره.. والثانى صار فى عالم الغيب كالعدم وكان مكتوبا بلا تخصيص له كشهادة عليه أبديه.. والله تعالى من قبل (عالم الغيب والشهادة) الا الاختيار نفسه الذى علمه الله أخيراً والذى هو ميل المخلوق لأحد الجهتين المتضادتين فقد أجل الله تعالى العلم به بمراقبته التى

لاتغفل الى ما بعد ايجاد المخلوق ووجوده فعلا في الحياة للاختيار لا قبل ايجاده .ولان المخلوق بفطرته كان بالله مؤمنا قبل الولادة. حتى أعطى الله تعالى عهدا وميثاقا بذلك اذا منح الحرية والاختيار كالآية : واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى . . شهدنا ان تقولوا يوم القيامة (اى بعد اختياركم الحر في الدنيا في الايمان والكفر) إنا كنا عن هذا (الايمان في الدنيا غافلين) . اى كافرين عندما تملكوا حريتهم للاختيار المذكور.. لان ذلك هو الحق والعدل ولان الانسان يخلق ليعلم الله منه اختياره مؤخرا لا مقدما قبل ايجاده . . لانه بغير ذلك وفرضنا ان الله تعالى خصص له جهة في عامه مخصوصة كما يدعى الجاهلون فلا يكون مختاراً عقلاً وعدلاً ويكون خلقه عبثا ولعبا والحياة باطلة (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) فعدم علم الله باختيار الانسان الا بعد خلقه في الدنيا بالمراقبة هو الحق لمن يريد الايمان بالله والاخلاص اليه ومن قال بغير ذلك فقد ظلم نفسه (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وهو تعالى بهذه الرقابة كان (بكل شيء عليم) عدلاً وحقاً ايضا.

— ١٨ —

(وما كان الله ليضيع ايمانكم)

ومن وسائل الفتنة قوله تعالى عن بعض اليهود مدة النبي صلى الله عليه وسلم في الآية : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من

يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) فالقبلة التي كان عليها النبي (ص) قبل الهجرة هي الكعبة فأمره الله تعالى باستقبال بيت المقدس فآمن به كثير من اليهود بسبب ذلك ثم أمره الله تعالى باستقبال الكعبة ثانياً في آخر الأمر وجعل ذلك امتحانا وفتنة لأولئك الذين آمنوا به أخيراً ليعلم منهم ..هل يثبتون على ايمانهم؟.. أم يرجعون من الايمان بالله والنبي الى الكفر الذى كانوا فيه ؟ بسبب تغيير القبلة إلى الكعبة ؟

فبعضهم ثبت على إيمانه وبعضهم ارتد بحريته إلى الكفر فقال تعالى عنهم وما كان الله (أى يقصد بهذه الفتنة : ليضيع ايمانكم (أى بمثل هذا الارتداد السريع من الايمان الى الكفر.. بل كان غرضه وقصده ثباتكم على الايمان الذى كنتم فيه بحريتكم الشخصية حتى تتطبعوا عليه ليزيدكم رحمة (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) لانه تعالى يرضيه الايمان للجميع بلا استثناء واحد منهم..اذ بهذا الايمان ينالون الرحمة وبه الرحمة..ولكن بلزوم النظام الذى سنه لجميع البشر على اختلاف الرسل وهو ان يعلم اختيارهم الايمان بحريتهم أو الكفر بحريتهم أيضاً ..والفتنة نظام حق مقرر أيضاً . بها يعلم الله أيضاً: هل الانسان يثبت فى الايمان الى النهاية ؟.. أو يتخاذل من أقل تأثير ويرجع بحريته الى الكفر ؟ — أما الكفر والايمان وكيفية حصولهما من كل منهم فمعلوم لله تعالى أزلاً ومكتوب قبل الخلق والذى يريد الله تعالى أن يعلمه بالمراقبة عن كل منهم هو الاختيار لأحد الجهتين لا أكثر ولا أقل .

وهنا أسئل بعض الذين يضلون الأمة الاسلامية بغير علم ويدعون لأنفسهم حسن الايمان والاسلام بادعائهم الكاذب بأن أولئك الذين ارتدوا الى الكفر وماتوا عليه. هل الله تعالى كان يعلم أزلا أنهم سيموتون على الكفر قبل خلقهم وليس لهم فى علمه وارادته تعالى غير ذلك؟ كلا. ثم كلا ثم كلا . . لا يعلم الله تعالى قبل خلقهم أو أزلا انهم سيموتون على الكفر وحده وانه ليس لهم غير ذلك فى علمه وإرادته بل لهم أيضا إيمان وموت على الايمان فى علمه تعالى وإرادته وقد علم أخيراً اختيارهم للكفر.. ان هذه التهمة لله العادل ..والتى لم يقل بها عبد آخر فى العالم غير أولئك المضلين تؤيد كل الظلم على الله (ويتعالى الله عن ذلك) بل هو تعالى أراد لهم الاختيار وحده بين الايمان والكفر وعلم عنهم عامين متضادين فى وقت واحد . وهذه الارادة نافذة حتما على جميع البشر.. فما ترى انسانا فى أى حالة وفى أى وسط وعلى أى شكل الا وتراه فى حال اختيار بين أمرين طيب وخبيث . . أو طيب وأطيب منه .. أو خبيث وأخبث منه. فارادة الله تعالى من هذه الجهة نافذة على أى شكل . . ومن جهة العلم فكل شىء مكتوب قبل الخلق على أى حالة.. ولكن من جهتين متضادتين كفراً وايمانا . . والانسان ليس له الا واحدا منهما وخلق لغرض واحد حتى لا ثانى له وهو ليعلم الله منه بالمراقبة الدقيقة بعد خلقه كاملا عاقلا ووجوده فعلا إنسانا فى الحياة . أى الجهتين يختار من موت على الايمان أو موت على الكفر ؟ حتى يكون مسئولا عن نفسه امام ربه (وإن ليس للانسان الاما سعى) فمن

مات على الكفر كان له موتة أخرى على الايمان تركها وسيندم عليها كما سيأتي البيان ايضا في آيات قرآنية كثيرة

وإذا فرضنا المستحيل وسرنا مع أولئك الذين لا يشفقون على أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة نظير كفرهم هذا واضلالهم الأمة بمثل هذه الاكاذيب الشيطانية التي يظنون بها انهم يحسنون صنعا.. وقلنا ان الله تعالى كان يعلم أزلا موتهم على الكفر ولا شيء لهم في علمه وارادته غير ذلك .. لماذا يقول . تعالى عن أولئك الذين كفروا بالله ورسوله في الآية الماضية (وما كان الله ليضيع أيمانكم) مع انهم ماتوا على الكفر! فهل قرر كلامه هذا في أم الكتاب واعلنه للعالم على لسان رسوله وايده في كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لانه تعالى يكذب على نفسه وعلى العالم . . فيقول لهم (وما كان الله ليضيع ايمانكم) الذى اختاروه اولا وهو يعلم انهم ازلا وقبل خلقهم مكتوب لهم عنده الكفر وحده وضياع الايمان وحده وليس لهم في علمه وارادته ضده من موت على الايمان وثبات عليه الى النهاية بلا ضياع ؟ (يتعالى الله عن مثل هذه التهمة الجائرة) فليراجعوا نفسهم اولئك الذين يعتقدون في انفسهم ظلما حسن الايمان وهم بذلك يضلون انفسهم وغيرهم وهم لا يشعرون . افلا يذكرون !!!

— ١٩ —

(الختم والطبع على القلوب بالكفر . بسنن عادله)

(مذهب داروين فى القرآن)

يعترض بعض الضالين على فتح طريقين للانسان ايمانا وكفراً بان القرآن ذكر ان بعض الناس طبع الله على قلوبهم بالكفر فليس لهم ايمان فى أم الكتاب مطلقاً فكفرهم أزلى .. وهذا باطل .. لان خالق الله جميعاً له نظام يتدرج صعوداً ونزولاً بالعمل طبقاً لسنن الارتقاء والتجدد أو الفنا والانحلال والتلاشى. فقد قلت ان الانسان يولد طفلا ثم يتدرج فى النمو حتى يصير رجلا. ويستحيل بعد ذلك ان يرجع طفلا وهكذا نظام الله تعالى فى الايمان والكفر وفى جميع السنن الكونية . . . فقد يتدرج الكافر بكفره من بعد الايمان مدة حياته حتى يصير الكفر طبعا فيه لا يتحول عنه حتى تنقضى أيامه ثم يموت عليه . . . وهذا النظام ما أراده الله لكل مخلوق فى العالم ان أراده بنفسه فلا يمانعه الله مطلقاً كالآية : (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله غنى عن العالمين) فالطبع بالكفر إذاً له أسباب عادله ونظامات إلهية سائرة على جميع الخلق كالآية : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون) (المنافقون) وقال تعالى : (من كفر بالله بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ـ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين أولئك

الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون)

— ٢٠ —

(الانبياء وغيرهم لهم علمان عند الله أيضا)

قال تعالى فى سورة (سبأ) (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فيما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب) وهذا دليل على ان للرسل عند الله طريقين فى أم الكتاب أيضا من الارادة والعلم الالهى ليتخذوا الأفضل بقدر جهودهم الشخصية . . ولذا فضل الله بعضهم على بعض كالآية: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وهذا عدل واضح . وقال تعالى عن أزواج رسوله (ص) : (يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) وقال تعالى عن آدم: (وعصى آدم ربه فغوى) وهذا كالذى قبله.وقال تعالى عن جميع البشر بما فيهم الرسل : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه . ومن كان يرد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) . (الشورى) . وقال تعالى عن الرسول (ص): (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقال تعالى :(لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولاً) وقال تعالى : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحوراً) وقال تعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) وقال تعالى :

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقال تعالى: (فلا تدع مع الله إلهـا آخر فتكون من المعذبين) (الشعراء) . وقال تعالى قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا)وهكذا.. فنظام الله واحد على جميع البشر والمخلوقات بلا استثناء والكل خلقوا أحراراً لعبادته ولهم ثواب العمل الصالح والايمان وعقاب الكفر والعمل السيء (وما الله يريد ظلما للعباد)

— ٣١ —

(اقدار في أم الكتاب في علم الغيب كانت لبعض الناس)

ولم تقع فعلا لعدم اختيارهم لها بحريتهم

لم يبق شك مطلقا أيضا مما ذكرناه من صحة عقيدة القدر التى يقولها الله تعالى فى قرآنه الحكيم وأوضحنا بعض نظامها فى الابواب الماضية.. من أنه تعالى خلق كل مخلوق حرا فى نفسه لمدة معلومة لعبادته وانه تعالى لا يمس هذه الحرية بسبب عزة نفسه (ومنهم الانسان) فقال للجميع حقا (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولذا كتب كل أعمال الايمان لكل انسان بدرجاتها بما وسع به علمه تعالى فى أم الكتاب وكذلك أعمال الكفر بأنواعها ودرجاتها قبل الخلق..وأراد من هذا الانسان اختيار الايمان وأرسل له الرسل لذلك.. وبين له فى القرآن ان الاقدار الالهية تسير خلف اختياراته فى الاعمال المتنوعة التى كتبها له على كثرة أنواعها التي لا تحد من الجهتين ايمانا وكفرا...وما عليه الا أن يتخير لنفسه

مركزا عند ربه من ثلاث الأقدار . وأن يفكر فى أحسنها ويقدم على فعله ان أراد لنفسه خيرا وسعادة ... فان كفر باللهفهذا الطريق مفتوح أيضا لا يمنعه الله مطلقا الا بحق يستحقه كآية أم موسى (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) وكالاية (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل) وغير ذلك . وقلنا أيضا ان الوقت الذى يكفر فيه الانسان فعلا يكون مكتوبا له عند الله فى نفس هذا الوقت ايمان أيضا وعمل صالح تركه فى علم الغيب عند الله بدل الكفر الذى وقع منه فى عالم الشهادة باختياره . . ومن ذلك ما قاله الله تعالى فى كتابه الكريم عن أقدار مكتوبة لبعض الناس عنده .. بينها فى الكتاب ليفهم الناس نظام القدر من القرآن والتى كانت لهم لو اختاروها بحريتهم بدل التى وقعت منهم فعلا فى عالم الشهادة كالايات الاتية : قال تعالى : (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون): فهؤلاء الذين كفروا بالله وماتوا على الكفر كان لهم مكتوبا عند الله ايمان بأنواعه وتقوى وعملٌ صالح أيضا .ولو اختاروا الايمان بحريتهم بدل هذا الكفر انفذ الله عليهم أقدار المثوبة بأعمالهم الصالحة وغمرهم باحسانه أيضا ..ولكنهم كفروا.. فأصابهم بسيئات ما اختاروا من أعمال الكفر تحت مسئوليتهم ..لانهم لم يهتموا بانذار نبيهم ولم يطيعوا أمر ربهم (البقرة) فذكر الله لنا ذلك لنعلم نظام أقداره العادل فى العالم . . سنة الله فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقال تعالى أيضا : (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) . فهذا الخير الذى حرموا منه لعدم سمعهم مكتوبا عند

الله لهم قد حرموا منه لاختيارهم ما في الطريق المضاد .. وقال تعالى أيضا في سورة (النساء) (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذاً لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما) وهذا ظاهر بين كالذي قبله .. فقد كان مكتوبا لهم عند الله الهداية أيضاً بدل الضلال والاجر الحسن على الايمان بدل العذاب على الكفر ولكنهم اختاروا الكفر بحريتهم لانه مكتوب أيضا مع الايمان فأوقع الله عليهم أقداراً سيئة تناسب اختيارهم لاعمال الكفر الذي وقع منهم فعلا (وما الله يريد ظلما للعباد) ثم حرمهم من الهداية والصراط المستقيم لعدم استحقاقهم لها وان كانت لهم مكتوبة .

- ٢٢ -

(جوهر العلم الالهي خاص بالله وحده)

أيد القرآن الكريم صفات الله الكاملة وتنزيهها عن صفات المخلوقات وقد توسع الموحدون وأفاضوا في بيانها وذكروا أضدادها لاشباع العقائد بكمال الخالق جل شأنه

أما « العلم الالهي » فلم تتبين للآن حقائقه وما يجب ان يقال عنه وكان هذا النقص سببا أوليا في زيغان عقول القدماء عن فهم حقيقة عقيدة القدر العظيمة

فكما قيل ويقال للآن في التوحيد بعدم تشبيه صفة من صفات الله تعالى بأي صفة من صفات المخلوقات فان العلم الالهي هو كذلك أيضا

— ٢٣ — (علم الله خلاف علم الانسان)

معلوم ان الله تعالى كان موجودا أزلا ولم يكن معه أحد ثم خلق المخلوقات وأوجدهافصارت بجانبه حادثه . . . فهنا . . يتساءل العقل عن العلم الالهى عن هذه المخلوقات المستحدثة . . هل علمه تعالى بها قبل أن يخلقها وهى فى العدم؟. هو بذاته بعد وجودها فعلا؟. وان جوهر هذا العلم لم يتغير ؟؟ . . . الجواب لا شك نعم . . . لم يتغير ولن يتغير

ومن ذلك يتضح للمطلع ان جوهر العلم الالهى فى العدم للمخلوقات مثله فى محدثاتها . .وهذا بخلاف العلم الانسانى الذى لا يكون الا فى الموجودات فعلا أوما ينتج عنها فى المخيلات . . فبطريق آخر يقال : ان علم الله تعالى بالمعدوم كعلمه تعالى بالموجود تماما . . . لانه لو فرض غير ذلك لكان الخالق سبحانه معرضا لحوادث التغيير الذاتى . . وهو محال

قد يقال عن هذا المبدأ ان المعدوم ليس هو الموجود . . . فان الموجود ملموس والمعدوم خلو من كل صفة . . فهما ضدان وان الضدين لا يتفقان فى العقل مطلقا . . وجوابنا على ذلك ان الله تعالى فى كل صفاته كذلك فهو موجود فعلا وصفاته موجودة ولكنها تنافى كل موجود فى المعقول بالا يصل اليه بحث عاقل أو تشبيه

ان تصورات الانسان وعلمه حقيقة .ولكنها تناسب عقله . . أما الله تعالى وعلمه ففوق العقول كما تقدم . . . فاذا قال انسان ان علمى بالشمس فى وجودها المادى ليس هو علمى بها عند عدمها المطلق وهو أمر تؤيده البداهة . قلت له هذا حق فى العقول الانسانية . . ولكن فى

علم الله تعالى يتساوى فرض الموجود من المخلوقات ومعدومها . لان صفات الله كلها وكيفياتها لا تدركها العقول البشرية .

— ٢٤ —

(الاقدار الالهية للانسان نتيجة لجهود الانسان الاختيارى)

لما كان الانسان حرا بطبيعته وخلقه الله تعالى مخيرا بهذه الحرية الى اختيار الايمان أو الكفر (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وكانت الأفعال الدالة على الايمان لا حد لها والافعال الدالة على الكفر لا حد لها أيضاً كان فرض القدماء : أن الحوادث الواقعة فعلا من الانسان من بدء حياته الى مماته هى التى كانت له فى علم الله أزلا ولا غيرها (كفر صراحً)(وان كان غير مقصود) قد قبلها الخلف عن السلف تساهلا وتقليدا. كما استسهل الذين قالوا (ان الله هو المسيح بن مريم) بل الحقيقة ان القدر لكل مخلوق من أعمال الكفر والايمان في علم الله لا حد له من الحصر والعد لان ذلك لا يعجز الله تعالى ولا يعجز قدرته ولا يعجز علمه ولا عدله المطلق ـ وان الواقع فعلا من الانسان فى حياته هو الذى صار له من علم الله باختياره الذاتى كالجزء من الكل .أعنى جزءا من الكثير الذى كان له فى العلم الالهى مما لا حد له و لذى كان تحت حريته وتصرفه فيما لو ترك ما اختاره من الواقع وأخذ غيره مما كان له فى علم الله المذكور . فاذا فرض ووقعت أمة من الامم كالامة المصرية تحت سلطه أمة أخرى ظالمة مستبدة فما كان لهم ذلك من أقدار الله الا من سوء عملهم . . فاذا قام المصلحون منهم يدعون أفرادها لترك التواكل والجمود ثم الاتحاد والائتلاف وعمل الاصلاح

لانقـاذ أنفسهم وبلادهم بالاخلاص لله والتقوى فهذا ليس بخطأ . بل هو حق . وممكن لهم ترك ما هم فيه واتباع طرق المخلصين والعقلاء الموصلة للنجاح والفلاح والحرية والسعادة والتقدم فليس لله ان يغـير ما هم فيه من الاستعباد للترقى حتى يغيروا اما بأنفسهم من الجمود والتأخر والكفر بالله وان ليس لهم من سعادة الاستقلال التى لهم فى علم الله الا بقدر ما يختارون لانفسهم من حسن الاعمال الموصلة للمقصود وأن النتيجة لا تكون الا بقدر المجهود الانسانى واتجاهه . وأساس كل نجاح فى الدنيا والآخرة هو الاخلاص لله

— ٢٥ —

(عالم الغيب والشهادة)

قلنا ان العلماء والفلاسفة الاقدمين فى هـذا الموضوع قرروا ان الذى وقع من الاقدار فى حياة الانسان هو الذى تخصص له فى علم الله وحده وذلك لسبب وقوعه فعلا. وما كان له فى علم الله مطلقاً شيء سواه . لانهم قالوا اذا كان له فى علم الله أشياء أخرى لم تقع وكان فى امكان هذا الانسان عملها (مع فرض عدم وقوعها فعلا) ثم ترك التى وقعت منه فعلا. يعد ذلك جهلا من الله تعالى بما يقع فى العالم فعلا . وما لم يقع فعلا من الحوادث ثم فرقوا فى علم الله بين الواقع وضده. لان الواقع شيء وغير الواقع شيء آخر كما يدعون. والمتأمل لما قدمنا فى الابواب السابقة يرى ان هذا المبدأ يعد جهلا منهم بحقيقة ماهية العلم الالهى المظيم وذلك لعدم تغيره مطلقا فى وجهة فرض العدم محل الموجود كما بينا ذلك فى الابواب السابقة والله بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين — تم الجزء الاول —

مؤلفات المؤلف

وتطلبه منه بعنوانه بوستة السيدة عائشة بمصر

			الثمن
			ص
كتاب : فلسفة الاسلام ومدنية القرآن جزء		أول	١٠
« « « « « «	«	ثانى	٨
سالة دستور الاسلام	»	أول	١
كتاب علم القضاء والقدر	»	أول	٣

﴿ اعلان مهم ﴾

مؤلف هذا الكتاب مستعد لالقاء محاضرات فى القضاء والقدر على أى جمعية علميــة أو أدبية أو فى النوادى والنقابات وكذا مستعد للاجابة بالبوستة مجانا علي أى سؤال أو أسئلة فى هذا الموضوع مهما كانت بعنوانه بوستة السيدة عائشه بمصر

كتاب

في علم القضاء والقدر

تأليف

احمد بدوي النقاش

الجزء الثاني

(وقل الحق من ربكم : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

— إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم —

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

الطبعة الاولى سنة ١٩٢٨ م

كتاب

في علم القضاء والقدر

تأليف

احمد بدوي النقاش

الجزء الثاني

(وقل الحق من ربكم : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

— إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم —

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

الطبعة الاولى سنة ١٩٢٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

— ٢٦ —

(الانسان بنفسه يسعد ويشقى)

قرر القرآن الحكيم ان الله خلق الانسان حراً تحت نظام الجزات الالهية عن كل عمل يأتيه ان خيراً فخير وإن شراً فشر (وان ليس للانسان إلا ما سعى) وجعل سبحانه امام حريته طريق الخير والشر يسلك أيهما شاء (وهديناه النجدين) . . . فهو يرفع نفسه الى اوج السعادة بالتقوى والعمل الصالح ان أراد فالطريق مفتوح أمامه ويرد نفسه الى أسفل سافلين بالكفر والفساد إن أراد . فالطريق الثانى سهل أيضاً أمامه (وما ربك بظلام للعبيد)

ألم تر كيف يرسل الله الرسل ليمنعوا الناس من الكفر والفساد الذى اختاروه لأنفسهم وليتغيروا بحريتهم بهداية الرسل الى طرق الاصلاح والايمان الذى يجلب لهم السعادة في الدارين وخصوصاً فى الاخرة

هؤلاء الرسل لم يك ارسالهم الا رحمة من الله تعالى لان قدّر الله السيء الذى أصابهم ويصيبهم بسبب كفرهم وفسادهم ممكنهم تغييره بأنفسهم بقدّر خيرٍ غيرهلو بدلوا كفرهم بالأعمال الصالحة وغيروا الفساد بالتقوى والاصلاح فيرتقوا فى كل شيء فى الحياتين بقدر جهودهم فى التقوى هنا فى الحياة الدنيا . وان هذا التغيير لا يؤثر في علم الله أقل

تأثير وعلى ذلك. فالانسان بنفسه هو الذى يفتح لنفسه باب السعادة والله يمده بها . ثم هو الذى يفتح على نفسه باب الشقاوة والله يجازيه بها (وان ليس للانسان الا ما سعى)

— ٢٧ —

(الأمم الاسلامية والامة المصرية فى حينها)

اذا نظرنا لتاريخ أمة كالأمة المصرية خاصة والامم الاسلامية عامة فى سنواتها القريبة الماضية وعلمنا منه تقصير أغنيائها فى نشر التعليم وأفرادهم فى عدم الاهتمام الجدى فى خير وطنهم لارتقائه وعدم الائتلاف فيما ينفع المجموع وتقصيرهم والتأخر عن غيرهم فى الاستقلال والحرية والاعمال الصالحة المخلدة للذكرى فى الدنيا والآخرة . . . فلا يجب أن يلام القدر على هذا الواقع لانه نتيجة حقة لمجموع أحوالهم الماضية والحاضرة وفى الوقت نفسه لايجب ان يقال ان هذا الواقع هو ما تخصص لهم فى العلم الالهى وما كان لهم غيره تخفيفاً للآلام ودفعاً للوم كما يدعى الجاهلون . بل الحقيقة انه كان فى امكانهم تغيير سوء هذا الحال الذى هم فيه بأفضل منه . لو كانوا تركوا التخاذل وأخلصوا لله فى أعمالهم وأنفقوا لخير البلاد من أموالهم وجهودهم ودافعوا بقوتهم عن أوطانهم كغيرهم فمجال الاقدار مازال مفتوحاً وتحت أيديهم . فبقدر الاعمال تكون النتيجة والقدر . والتاريخ أفضل مرآة للبصير وان قدر الله مفتوح رحمته لكل طارق مخلص مجد عامل . فالاقدام الاقدام فخير الاقدار يهبها الله لكل مخلص مقدام وقد قال تعالى : « اعملوا ماشئتم

انى بما تعملون عليم »

— ٣٨ —

(المعدوم والموجود فى علم الله سواء)

بعض الناس عندما يبحث فى عقيدة القضاء والقدر يتوهم ان علم الله تعالى كالعلم الانسانى ولكن ذلك خطأ محض . فالعقل الانسانى لا يمكنه أن يعلم الواقع كما يعلم المعدوم لان هذه هى طبيعته أما العلم الالهى فلا فرق ولا تضاد بين الواقع وغير الواقع كنظريتنا السالفة فى الجزء الاول من وجود المخلوقات بعد عدمها عندما خلقها الله فعلا من العدم الى الوجود . فان علمه تعالى فى كلا الحالتين لم يتغير للآن وهكذا علمه عن أعمال الانسان المعدوم والواقع فتقرير بعض الناس ان علم الله كعلم الانسان فى ماهيته هو الذى دحر جيوشهم منهزمين أمام عقيدة القدر العظيمة للآن مدة أجيال طويلة . ولو بحثوا قليلا فى ماهية العلم الالهى وتنزيهه عن الشبه بالعلم الانسانى كما نزهوا ذات الله تعالى بكل الفروض المعقولة لما وقعوا فى هذا الخطأ العظيم . ومما تقدم . اذا فرض وكفر انسان بالله تعالى من بدء حياته الى مماته فلا يقال ان هذا ماتقدر له أزلاً وما كان له فى علم الله غيره لانه هو الواقع . فان (هذا كفر صراح) لا يصح نسبته لله تعالى لانه كتب لكل انسان علمين متضادين هو مخير بينهما . بل يقال ان هذا صار له باختياره لنفسه وانه كان له أيضاً فى علم الله ايمان وعمل صالح وكان يمكنه اختياره لنفسه فى بدء حياته الى مماته بدل هذا الكفر الواقع . . وان وقوع أحدهما بدل الآخر أو بعبارة

أخرى كون أحدهما صار واقعاً والآخر غير واقع لا يؤثر في علم الله الازلى مطلقاً بل الواقع يسمى (علم شهادة) والغير واقع يسمى (علم غيب) وهو تعالى (عالم الغيب والشهادة) بنسبة فى ذاته القدسية لا تتغير

— ٢٩ —

« أقدار في ام الكتاب لبعض الناس لم تقع لعدم اختيارهم لها »

قلنا فى الجزء الماضى ان الناس لهم عند الله علمان مكتوبان علم للسعادة وعلم للشقاء او علم للايمان وعلم للكفران وارادة للخيار بينهما . وذكرنا بعض آيات قرآنيه عن ذلك . والآن نذكر آيات اخرى تؤيد ذلك أيضاً. فقد قال تعالى فى (سورة المائده) ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم »

وهذا بين جدا للذين كفروا وقالوا ان المسيح ابن الله وآله كالآية: (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) فان هؤلاء لهم عند الله طريق آخر غير كفرهم هذا : وهو طريق الايمان بالحقيقه ومكتوب لهم أعمال الأيمان بالنبي والقرآن والتقوى والمغفرة ودخول الجنة بدل الكفر الذى مات الكثيرون عليه وسيدخلون به (النار) . فلينتبه لذلك الكاذبون الذين يضلون الناس بان لهم عند الله وفى ام الكتاب طريقا واحداً . وعلما واحدا . فان اعمال الايمان التى كانت امامهم عند الله وفى كتابه صارت « فى عالم الغيب » وقد أوضحها الله لنا لنعلم من كتاب الله سر الاقدار وحسن النظام والعدل الشامل من الله لجميع الخلق . من أن لكل مخلوق عند الله طريقين وعملين وعلمين فى وقت واحد هو مخير بينهما

ليجازى باختياره الذاتى عدلاً ..وقال تعالى ايضا فى سورة (الاعراف) ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون»

وهذه الآية توضح باجلى بيان هذا النظام العام على جميع البشر . . لان اهل القرى هم جميع بنى الانسان من آدم الى يوم القيام وتبين ان كل فرد مكتوب له فى ام الكتاب اعمالا من طريقى الكفر والايمان هو مخير فيها جميعا فى وقت واحد بحيث اذا وقع عمل صالح خفى بجانبه عمل سيء فى عالم الغيب وبالعكس . وهؤلاء الذين ذكرهم الله كفروا وكذبوا فأوقع عليهم جزاء السيء بأعمالهم وما كان لهم من خير وعمل صالح اخفاه الله عنهم وحرموا انفسهم منه قد افهمنا الله ذلك ليعلم الناس كيف تسير الاقدار على الناس بحق وعدل مطلق كما سبق

وقال تعالى ايضا : «ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ما اتخذوهم اولياء» وهذا كالذى قبله من اختيارهم للكفر بدل الايمان بحريتهم

وقال تعالى : ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين (بقره)

وقال تعالى فى (سورة النساء) وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما . ... وقال تعالى ايضا فى (المائدة) ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم . ولكنهم لم يفعلوا ذلك فبقى لهم هذا القدر فى عالم الغيب مكتوبا كالآية : (زخرف) وانه في ام الكتاب لدينا لعلى

حكيم. وكالآية : ومامن غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين .

وقال تعالى ايضا : « تنزيل من رب العالمين . . ولا تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين (حاقه) وقال تعالي ايضا فى (البقره) ومن يرتدمنكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » . فاولئك الذين تمسكوا بحريتهم بالايمان الى الموت ولم يرتدوا . بقيت لهم اعمال الكفر والارتداد مكتوبة عند الله فى أم الكتاب واعامنا الله فى هذه الآية بما كان لهم من كفر وارتداد. ولكنهم لم يقدموا عليه باختيارهم. فبقاؤه في ام الكتاب صار شاهدا على اخلاصهم أيضا . وقال تعالى فى (النساء) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذه الآية واضح جدا فيها ما يأتى :

(ا) حرية الارادة الانسانية وان الله تعالى لايمسهما ان تبدلت من كفر الى ايمان او بالعكس وان الانسان مستقل تمام الاستقلال فى ذلك

(ب) ان للانسان عند الله طريقين . . طريق للايمان وطريق للكفر أو طريق للتقدم وطريق للتأخر أو طريق للسعادة وطريق للشقاء هو حر مختار فى السير فى أحدها أو التنقل بينهما كيفما شاء

(ج) كتب الله لكل انسان اعمال ايمان لا حد لها : . وأعمال كفر لا حد لها فى أى وسط وحالة يتواجد فيها قبل أن يخلق وهو تعالى بها عليم وللانسان رقيب حفيظ

(د) ان خص الله نفسه بجزاءه عن كل صغيرة أو كبيرة يقدم عليها هذا الانسان في أحد الطريقين السالفين بحريته وأراد منه الاختيار وحده بينهما ليعلم منه أخيراً في هذه الحياة ماذا يختار ولينظر كيف يعمل من كل ما كتب له وعلم عنه قبل خلقه فان آمن اهتدى . وان كفر ضل

(هـ) ان الله أراد من كل انسان الاختيار بين الطريقين في أى وقت بما فيهما من أعمال كفر وايمان فى كل لحظة فى الحياة بحيث لو وقع منه فى أى لحظة كفر يختفى عنه ايمان ولو وقع منه ايمان فى أى لحظة يختفى عنه كفر ليكون الواقع منه فعلاً فى (عالم الشهادة) ومالم يقع فى الطريق المضاد الثانى وقت الوقوع فى الطرف الاول يبقى مكتوبا فى (عالم الغيب) لا يظهره الله لاحد فى العالم

(و) بما ان الاختيار من طبيعته لا يكون الا بين ضدين فعلم الله تعالى باختيار الانسان لا يكون الا فى هذه الحياة وحدها بعد تكوينه انسانا لا أزلاً . . لانه اذا فرض التخصيص أزلا بعلم أحد الجهتين امتنع عقلا وفعلا معنى الاختيار فى هذه الحياة . إذ عندها ينسب لله الظلم وعدم المساواة ويتنزه الله تعالى عن ذلك ولصارت الحياة لغواً . والتخصيص كفراً . قال تعالى (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وقال تعالى فى سورة الحديد : (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله لقوى عزيز) وهذا برهان لما تقدم

(ز) بسبب وجوب اختيار الانسان كما تقدم خص الله نفسه (بالرحمة) و (بالجزاء العدل) و (بالرقابة) أيضاً على هذا الانسان مراقبة شديدة

ليوفيه جزاءه عما يختار من الطريقين المتضادين المذكورين فوراً كالآية (وان ليس للانسان إلا ما سعى). يعني ليس له كل ما كتبه الله له أو عليه في أم الكتاب .. بل ما يقع عليه اختياره فعلا مما هو مكتوب فيهما (وهو بكل شيء عليم) . وقال تعالى بصفة عامة عن جميع البشر : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) وهذا دليل جديد على ان كل انسان له عالمان عند ربه هو مخير بينهما تماماً . ويماثل هذا عن بني الانسان جميعاً قال : من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » وهذا أعدل من عدم العلم بتخصيص جهة واحدة لأي انسان

وقال تعالى في سورة « المؤمن » وياقوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار » وهذا ما يدل على وجود الطريقين للناس والرسل أيضاً في أم الكتاب أزلاً تحت الاختيار في هذه الحياة كما تقدم وليعلم الله من كل مخلوق ما يختار ليسئل عنه ويجازى به عدلا وما زال ربك بكل شيء عليم

وقال تعالى عن سليمان (عليه السلام) فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني «أأشكر أم أكفر » .. وقال تعالي عن صالح (عليه السلام) قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه

رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير »

وقال تعالى عن رسوله محمد (ص) فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير . ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون »

وكل هذه الاقدار مكتوبة فى أم الكتاب للمذكورين ولكنها لم تقع فعلا لعدم اختيارهم لها والله بكل شىء عليم

— ٤٠ —

« أقوال بعض الناس عن القدر خطأ »

« أم الكتاب ـ شريط السينما ـ »

تقابلت يوما مع صديق ممن يتوهمون انهم يهدون المسلمين فى هذا الزمن فى دينهم وسألته : ماهى نظرية القضاء والقدر التى تعلمها للامة لهدايتها بالدين ؟. فقال: ان الانسان يعمل أعماله فى الحياة من بدء ميلاده الى يوم موته فيتكون عنه خط سير معلوم ولنفرض انه كان عاصياً أبداً واستمر على عصيانه حتى مات على الكفر . فاذا رجعت الى أم الكتاب لتبحث فيها عما كتبه الله تعالى قبل خلقه له تجد الشريط الذى مر فيه مدة حياته كشريط السينما طبق الاصل هو الموجود له فى أم الكتاب ولا غيره مطلقا . فلا هداية فيه ولا ايمان أبداً . فقلت له : وماهو الغرض إذاً من خلقه اذا كان له خط سير واحد لا ثانى له مع انه خلق ليؤمن بالله وليعبده اذ قال تعالى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

ولماذا يرسل له الله رسولا يأمره بآلاف من الاوامر لتغيير هذه

الخطة التي مات عليها هذا الانسان كافراً ؟. فهل ارسال الرسل لعباً ولهواً أم هزؤاً وسخرية ؟ . ـ وهل تقبل على نفسك أو يقتضيه ايمانك بالله الذي تحبه وتخشاه ان يخدع الله مثل هذا العبد ويخادعه على ان يأمره بالايمان والهداية والتقوى على لسان رسل هم أصدق الناس في أقوالهم واخلاصهم لربهم. بينما الله الذي هو أرأف على عباده من انفسهم يعلم عنه ومكتوب عليه حتما في أم الكتاب ان ليس له مطلقا خط سير آخر غير ماهو منهمك فيه من الضلال والكفران ؟ وكيف يسأله الله يوم القيامة عن كفره هذا ويعذبه عليه ؟ فأجابني كالأجوبة التي تعودوا عليها من قرون مضت : لا يسئل عما يفعل . . فأجبته بأن هذه الآية جعلت لتمام عدل الله. لا لتمام ظلم تتوهمه كهذا الذي تدعيه على ربك .. اليس ماتقوله دافعا لبعض الناس على التمذهب بمذهب الجبرية الباطل؟فيتوهمون ان الانسان في مثل هذه الخرافات مجبور على أعماله ؟ ولو عقلا ـ لا فعلا؟ . .فأجاب الظاهر لنا ان الانسان حر في أعماله . فقلت له نعم هو حر حقاً ظاهراً وباطنا ولكن ليس للنظام الذي ذكرته في أم الكتاب وهماً . بل المفروض ان كل انسان له في أم الكتاب عند الله علمان متضادان علم للايمان وعلم للكفر وهو حر في السير في احدهما أو في كل منهما بالتناوب حسب اختياره الشخصي تحت المراقبة الالهيـة وليكون مسئولا حقاً أمام ربه عما اختار . .ثم ليكون انزال القرآن حقا وإرسال الرسل حقا ليتجنب الناس طريق الضلال ويسلكون طريق الهداية بحريتهم التي ملكها الله لأيديهم . وهل فرض سعة علم الله من الجهتين ايمانا وكفراً لكل انسان

أفضل؟ . . أم تضييقه وفرض العلم من جهة واحدة أفضل ؟ مع علمك بقوله تعالى (وسع ربي كل شيء علما !) ثم قال هذا الصديق الضال : مادام هذا الرجل مات كافراً هل الله يعلم انه سيموت على الكفر وحده أم لا ؟ قلت له : انه تعالي يعلم انه يموت على الكفر كما مات . ويعلم في الوقت نفسه انه كان يمكنه ان يموت على الايمان أيضاً لو غير خط سيره في الحياة وكان في امكانه ذلك ويساعده الله عليه أيضا أكثر من الكفر الذى لا يرضاه لأحد . لأنه تعالى خص نفسه بالهداية لمن أراد اختيار الايمان بنفسه كالآية (ان علينا للهدى) من غير أن يتغير شيء لا من علم الله ولا من ارادته للمذكور . ألم تعلم قول الله تعالى : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . فهو بهذا أراد أن يكون الانسان مؤمنا أو كافراً . . فارادته على أى جهة يختارها الانسان واقعه . فلم يخرج الانسان عن ارادة ربه ان مات على الكفر أو مات على الايمان وعمل أعمالا من كل منهما ولو بالتناوب ومنها تعلم انه كتب له في أم الكتاب خطين متضادين من العلم . . علم لايمانه وعلم لكفره وموت على الكفر بحوادثه المنوعة وموت على الايمان بحوادثه المنوعة ـ وأراد سبحانه ان يكون مخيراً بين وقوع احدهما لنفسه وبحريته فان اختار الموت على الكفر فقد محى الله ما يجانبه مما كان مكتوبا له من الموت على الايمان أيضا باختياره ولذا كان علمه تعالى باختيار الانسان بعد وقوع الاختيار نفسه لا قبل الاختيار لانه لو كان قبله ما كان اختياراً مطلقاً بل يمحى معنويا وعمليا عقلا وفعلا

ولذا قضى الله بحق وقدر أن يكون رقيبا على كل انسان مراقبة

شديدة لهذا العلم بما يختار وليكتب الله ما له وما عليه بعدل وحق « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » ومنه قال تعالى (لا يسئل عما يفعل) أى لعدله الشامل المطلق ونظامه الحق السابق (وهم يسئلون) أى عن ظلمهم لأنفسهم باختيارهم الكفر بدل الايمان . مع أن الله تعالى خيرهم فيهما ثم أنذرهم وبشرهم بالرسل تحريضا لهم لاختيار الايمان بأنفسهم لانه تعالى يرغب فى رحمتهم إن أرادوها بحريتهم (انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا) وانه تعالى يرضيه الايمان قبل كل شيء كالآية : (ولا يرضى لعباده الكفر) ان اختاروه بدل الايمان المذكور كالآية : (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل) . وهنا بهت هذا الصديق وعلم ان ماقلته له أقرب الى الحق والعقل والقرآن فأمن به وشكر الله على ذلك .. فهل يتعظ بذلك غيره ممن لا يعلمون ؟

— ٣١ —

(صديق آخر ـ رسم منزل ـ بدعة علم الانكشاف)

تحيرت والله فى تفنن المضلين . ففى يوم اخر تقابلت مع صديق اخر من المشايخ . يعلم الناس باطلا عقيدة القضاء والقدر القديمة بشكل يسخط الله ورسوله وملائكته . فسألته ماذا تقول عن عقيدة القدر ؟ فأجاب بأن الله تعالى كتب للناس قبل خلقهم خط سير كل منهم فى هذه الحياة وذلك أشبه بالمهندس الخبير الذى يرغب بناء منزل فيجب أن يعمل التصميم ورسم الشكل قبل ايجاده ثم يبدأ بالعمل فالناس وأعمالهم على اختلافهم هم أدوات المنزل وتركيبه ـ أما الرسم فهو أم الكتاب لانه

الواقع وحده بلا زيادة ـ وأما عند البناء فكل انسان في الظاهر حر فى عمله . ولكن كل فرد ينتهى بما هو مقدر له ازلا فى موضعه بالمنزل فى الرسم المذكور بلا تغيير فيه ولا تبديل . فالحرية هنا إسمية .. ولو على فرض انهم أحرار في الظاهر . فسألته .. اذا سار انسان في الحياة شقيا . ولم يؤمن بالله وكذب بايات الله ومات على الكفر فى النهاية هل ليس له فى هذا الرسم الا هذا الذى وقع فيه فعلا ؟ قال نعم . . ليس له فى علم الله وأم الكتاب غير ذلك مطلقا . . فسألته : وهل اذا علم بعد ذلك انه ليس له غير الكفر . وان ارادة الله وقعت لهذا الكفر وحده هل لا يعد عقلا ولو عند غيره من الناس انه مسيّر على نظام محتم عليه ؟ ثم يدعى على ربه بعد ذلك انه مجبوراً ؟ ولو عقلا ؟ عند عقابه بالنار ظالما؟. فأجاب . . بأن علم الله هذا علم انكشاف لا جبر فيه ولا اضطرار . وهو يقصد بهذه الكلمة ان البداهة تؤيد عدم الجبر . والعلم السابق هذا لا يوجب الاضطرار والجبر العملي لانه كشف أمراً مستوراً فقط فاخترع كلمة (انكشاف) عن العلم الالهى هذا . . مع ان مسئلة الاضطرار صارت مسئلة عقلية لا عملية يخالفها الفرض الكاذب هذا الذى فرضه لعلم الله بالواقع . لان المفهوم عنه تعالى أنه القادر على كل شيء ولأن له ارادة فعالة أيضا بجانب وحدة علم الانكشاف هذا (إن كان العلم واحداً كما يدعى) ولها أثرها (عقلا) فى الاضطرار المذكور . ان البداهة حقا من نفسها تؤيد عدم اضطرار الانسان ظاهراً وباطنا . ولكن ذلك كان بسبب الارادة الالهية الفعالة للاختيار بين ضدين من العلم وهو أمر واقع ملموس حسا

ومعنى . فالفكرة نفسها من الوجهة العقلية سقيمة جداً توجب اعتراض ضعيف العقل بضرورة الاضطرار عقلا ـ مادام العمل والعلم والرسم واحد والارادة الالهية واحدة لا اختيار فيها بين ضدين مطلقا. فكيف بالعقول الكبيرة ؟ فكلمة (علم انكشاف) المبتدعة بجانب حرية المخلوق الحقيقية مع تأييد فكرة وحدة العلم الالهى من جهة الواقع وحده « تناقض » للحرية المزعومة تماما وهدم صريح للاختيار المحتم معناه أن يكون بين عاملين متضادين لا يمكن الجمع بينهما فى وقت واحد . ثم هذا أيضاً يهدم التكاليف الدينية هدماً و (يمحى) حكمة ارسال الرسل ويجعل الحياة لعبا وسخرية وقد قال تعالى : (وما خلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) . . ثم قلت فى نفسى — لا حول ولا قوة إلا بالله . . . هل مثل هؤلاء المشايخ الذين يظهرون الغيرة على الدين ويتظاهرون بالاخلاص لله لا يتدبرون القرآن ولو قليلا ؟ . ليعلموا من أنفسهم أنهم بابتداعهم مثل هذه الألفاظ الوهمية يضلون الناس بدل هدايتهم . وانهم يقولون على الله مالا يعلمون باطلا بدل حق قرره القرآن أمام أعينهم من قرون طويلة . وانهم يتهمون ربهم بالظلم عند ذلك وبالغرض بدل العدل الشامل والنزاهة الكاملة ؛ حقا . (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) وماذا عليهم لو آمنوا يقول الله تعالى فمن شاء فليؤمن . ومن شاء فليكفر . . وانه تعالى لم يقل ذلك إلا بعلم وانه تعالى جعل لكل مخلوق عنده علمين علما للايمان والشكر والطاعة وكتب ذلك تفصيلا عنده وعلما للكفر والعصيان وكتب ذلك أيضا عنده فى أم الكتاب بدرجاته

وتفصيلاته.ثم ارادةفعالة.بها خير هذا الانسان بينهما للوقت الذى يتواجد فيه فى هذه الحياة الدنيا فعلاً فيعلم منه تعالى بمراقبته التى لا تغفل لحظة انه اختار الأيمان أو اختار الكفر أو الاعمال الدالةعلى كل منهما حسب الحرية الكاملة التى ملكها تعالى ليده (لعبادته) فيكون مسئولا حقا وعدلا عن اختياره هذا وليجازى فوراً فى الدنيا ثم فى الآخرة بجزاء ماعمل بنفسه (ولتنظر نفس ماقدمت لغد). فهل لم يك هذا هو الحق الموافق لكمال الله الذاتى ونزاهته ؟ أم تلك التلفيقات المبتدعة من (علم انكشاف) وغيره مع بقاء اعتراض العقول والشك فى عدل الله الخالق ؟. تعالى الله عما يدعون . وهداهم الله الى سراطه المستقيم

ثم سألت صديقى هذا قائلا : وماقولك فى قول الله تعال عن اولئك الذين كذبوا بآيات الله وكفروا بالله وماتوا علي الكفر عندما يأتون يوم القيامة ويقنعهم الله تعالى بما كان مكتوبا لهم بالذات من ايمان بالله وآياته واخلاص اليه وموت على الايمان والتقوى أيضا فى أم الكتاب بدل الذى وقع منهم عن الكفر فعلا فى الآية (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) . مع انهم ماتوا على الكفر كما تقدم ؟. هل هذه الاية ذكرها الله فى القرآن لعقولنا عبثا . أو لعباً ! حاشا بل ليعلم الناس ما قدر الله بحق لكل نفس وما كتب لها بحق فى أم الكتاب من علمين متضادين علم للايمان وعلم للكفر وان الانسان لم يخلق إلا ليعلم الله منه فى الحياة الدنيا بعد وجوده فعلا بمراقبته الدقيقة التى لا تغفل ماذا يختار لنفسه من احداهما اذ هما له فى كل لحظة

كشريط السكة الحديد في السير وسطه فان آمن الانسان بالله مرة أو يوما صار له ذلك في عالم الشهادة وفى نفس الوقت الذى آمن فيه أخفى الله عنه فى عالم الغيب الـكفر بالله الذى كان يقابله ولن يظهره الله له مطلقا « عالم الغيب والشهادة » « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً). وماذا تقول عمن كفروا بالله تعالى وماتوا على الـكفر فى قول الله تعالى : (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لـكان خيراً لهم وأشد تثبيتا وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما . ولهديناهم صراطا مستقيما) فهل بعد ذلك تقول انه ليس لهم الا الـكفر الذى ماتوا عليه فى علم الله وإرادته ؟. أو ليس لهم فى علم الله طريق للايمان والهدايه معاً ؟ كلا ! بل مكتوب لهم علمان عند الله وارادة الهية للاختيار بينهما فاختاروا الـكفر وترك الوعظ والارشاد للحق بحريتهم .ومكتوب لهم الهداية أيضاً .فلو أبدلوا كفرهم الأول بالايمان بأنفسهم وحريتهم لأرضوا الله وآتاهم أجراً عظيما مكتوبا لهم وهم قد حرموا أنفسهم منه ومن الهداية أيضاً بكفرهم هذا كما يبدل غيرهم بالعكس وبحريتهم أيضا ايمانهم بكفر كالآية : (ومن يتبدل الـكفر بالايمان فقد ضل) فلما سمع ذلك صديقى اقتنع وانصرف ولعل ذلك يقنع أمثاله الذين يضلون الناس بغير علم والحمد لله رب العالمين

— ٣٢ —

« وحدة نظام الله فى عبادة المخلوقات »

ليعلم اختيارها للـكفر او الايمان

خلق الله السموات والارض كاملة فى غاية الحسن والجمال وكمال

النظام كما يراها المتأمل وكما قال تعالى (الذى أحسن كل شيء خلقه) وكما خلق الانسان فى أحسن تقويم بعد ذلك وهذه القدرة الالهية العجيبة شملت جميع الخلق . . وكلها لم توجد إلا لعبادة الله وحده فجعل لها سبحانه وتعالى نظاما واحداً أيضا بديعا لعبادته . فبعد أن أوفى خلقها وأحسن وضعها ومنحها حرية كاملة للعبادة لا يمسها وحدد لها أجلا مسمى لهذا الغرض أمرها بالخشوع لذاته العلية ليعلم منها الايمان أو الكفر الذى كتبهما لكل مخلوق بعلم بتفصيلاته ودرجاته من قبل أن يخلقه كما ذكرنا . والآن هذا النظام تجده منفذاً على السماء والأرض ـ على الجن والملائكة ـ على الانسان ـ على الانبياء . . . على كل مخلوق آخر كالطيور والحيوانات كما ترى من الأمثلة الآتية

— ٣٣ —

(عبادة السماء والارض لله تعالى)

قال تعالى عنهما فى القرآن العظيم (إذ قال السموات والارض أتيا طوعا أو كرهاً : قالتا أتينا طائعين) ومعنى ما تقدم ان الله تعالى بعد أن خلقهما فى أحسن وضع أمرهما بالخضوع وعبادة ذاته العلية . ولما كان الله تعالى يأبى هذه العبادة منهما الا أن يكونا أحراراً مستقلين تمام الاستقلال بسبب عزة نفسه وكمال قدرته فى خلقهما . وهما فى الوقت نفسه قادرون قدرة تامة على اداء هذا الواجب المقدس من العبادة بسبب حسن خلقهما جعل لهما عاماً عنده تعالى بالبداهة والعقل علم لطاعتهما لذاته القدسية وعلم لعصيانهما مكتوبان أيضا بأحوالهما ودرجاتهما قبل خلقهما . ثم أمرهما

بالخشوع بعد ذلك كما مر : إذ قال للسموات والارض ائتيا طوعا . . .
فمعنى طوعاً : أى بالحرية الكاملة التى ملكها الله لهما زمناً محدوداً (وهذا هو الاجل المسمى) وهذا يشبه قولك لخادم لك (احضر وإلا ارغمتك على الحضور) فهنا يتضح معنى الحرية وتحديد الوقت بالطاعة أولا حتى إذا امتنعا (عن اداء هذا الواجب المقدس) طوعا كما فعل ابليس بعصيان الله تعالى أرغمهما الله عليه معذبين فى وقت آخر . . كما قال تعالى «أو كرهاً» ولو كان الله يعلم عنهما الايمان وحده من غير كفر أو عصيان ما كان هناك ضرورة لذكر قوله تعالى « أو كرها » ـ ولكنه تعالى أراد أن يخيرهما بين الاثنين كما هو ظاهر بين ولم يخصص لهما طريقا واحداً فعلم منهما تعالى بالمراقبة اختيارهما الطريق الاول وهو الطاعة وهذا الطريق كان مكتوبا لهما قبل خلقهما وموضحاً معروفا لله تعالى كما قلنا . وفى الوقت نفسه أخفى عنا وعن علمهما أيضا قدر (الاكراه) فيما لو عصياه بعدم الخشوع بعد فوات الوقت المحدد لانه تعالى «لا يظهر على غيبه أحداً» بل صار اكراههما هذا فى عالم الغيب عند الله تعالى ولذا قال تعالى عندما علم اختيارهما للايمان والطاعة : قالتا آتينا طائعين . وهذا العلم بالطاعة كان بمراقبة الله تعالى عليهم بين سمعه وبصره عند الامر . . . فلا يصح أن نقول بعد ذلك انه ليس لهما فى علم الله من قبل إلا الطاعة وحدها لان ذلك ينفيه كلام الله تعالى ويهدم عزة الله النفسية ويؤيد عدم الكمال الذاتى لله سبحانه . ويكون الخلق عبثا فى عبث ويتعالى الله عن ذلك (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) فوحدة نظام المخلوقات فى العبادة . والغرض من الخلق

واحد لا يتغير « ولا تجد لسنة الله تبديلا » كما ان علم الله باختيار الطاعة لهما ما كان إلا بعد وقوع الاختيار نفسه لا قبله بالمراقبة الالهية عندما حدد الله وقت الاختيار المذكور

— ٣٤ —

« عبادة الملائكة والجن أو عصيانهم »

وقد نفذ الله تعالى نظامه الحق السالف هذا على الملائكة والجن وجعل لكل فرد منهم علمين مكتوبين عنده تعالى أيضا : علم عن الطاعة والعبادة وعلم عن الكفر والعصيان كذلك فذكر عن الملائكة والجن كثيراً من الآيات الدالة على منحه تعالى لهم (حرية كاملة) ووقتا محدداً ليعلم منهم أحدَ أمرين : اما الطاعة أو الايمان وإما الكفر أو العصيان كما فعل مع السماء والارض. فتجد في الآية الآتية ان البعض عصى ربه عمداً كابليس والبعض أطاع كالملائكة فعلم الله عند ذلك اختيار كل فريق منهما مما له من علمين متضادين عنده أيضاً واختفى الثانى عنهما وصار غائباً معلوما لله فى غيبه كما تقدم كالآية (سورة ص) :

إذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين . قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال

فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين . (جزاء لعصيانه هذا ومن يتبعه بحريته)

وبالتأمل لهذه الآية الكريمة نجد أن الله تعالى تعليما للناس سأل إبليس عن سبب عصيانه . فلم يجاوبه إبليس كما يدعى بعض شياطين المسلمين بأنه سبق له أن يعصى الله حتما من غير أن تكون له طاعة فى علمه . بل هو فى الحقيقة مخير بين العصيان والطاعة كغيره من المخلوقات . والملائكة هى بنفسها التى اختارت الطاعة بالسجود وكان يمكنها أن تفعل فعل ابليس لو أرادت فهى حرة فى ذلك . أيضا أما ابليس فأجاب حقا بانه تكبر فى نفسه وتعمد عصيان ربه أيضا وقد عصاه فعلاً بعلم وكفر صريح وكان يمكنه السجود بلا أى مانع عند الله . وله فى علم الله طاعة أيضا كما أطاعت الملائكة ولذلك أقسم بعزة الله فقال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين . وهذه العزة الالهية معناها كرامة الله النفسانية فى عدم قبول طاعة مخلوق إلا اذا كان حراً مطلقا بنفسه فى زمن محدد لا يمسه الله تعالى فيه . وهذا النظام هو الذى أغوى الشيطان على العصيان بحريته عمدا عن طاعة الله أيضا ـ وقد كان ابليس يعلم ذلك عن ربه حق العلم بأنه حر فى الطاعة أو العصيان حتى قال: (فبما أغويتنى) فكيف يجهل ذلك الانسان (خصوصا بعض من يدعون الاسلام) مع ان كتاب الله فى العالم قرونا طويلة أمام أعينهم (انه كان ظلوما جهولا) ـ هذا الشيطان اللعين ابليس أقسم بعزة الله التى لولاها مامنح مخلوق حريته وإبليس هذا يعلم ان الله تعالى لا يعارضه فى دوام كفره

الى النهاية. متحملا جزاءه بجلد ومتعمداً عمل المكايد للانسان كفراً بربه ونكاية فيه وحسداً مع ان الله فتح أمام هـذا الانسان طريق الهداية وعاهده الله على حفظه من الشيطان هذا « لو آمن » به وأخلص اليه ولم يتبع بجهله وساوس عدوه هذا الألد مع ضعفها ـ ولـكن من الاسف ـ نجد بعض أبناء هذا الانسان ينتسب لله بالاسلام بالاسم من جانب ثم يهدم أساس الدين من جانب آخر ويكفر بالله . فيدعى على الله كذبا انه تعالى خصص لكل انسان طريقا واحداً يسير فيه مدة حياته وما كان له غيره فى علم الله وإرادته ! . فلبئس ما يظنون (وليحملن أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يذرون) وبذلك يتقرر معنا حقا ان لكل مخلوق عند الله علمان خلقه الله ليعلم عنه اختياره لأحدهما بصفة مستديمة كما حصل من الملائكة أو بالتناوب أو الكفر المستديم كما حصل من ابليس حمانا الله من ضلاله الى يوم الدين . ولذلك قال تعالى عن بعض الناس يوم القيامة وقد اتبعوا من أنفسهم طريق الكفر باتباع الشيطان : وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين (السجدة) . والضلال هنا هو ضد طريق الهداية الذى كان مفتوحا أمام اختيارهم الحر فى الدنيا يدعوهم اليه الله ورسوله بإلحاح ولم يقبلوه ـ ثم هم لم يقولوا في دعواهم هذه انهم ضلوا الا لانه كان مكتوبا لهم أزلا طريق الكفر والهداية معا فلبئس مايدعى الكاذبون فى قدر الله العادل بين عباده أجمعين

— ٣٥ —

« عبادة الانسان لله »

(خلق الانسان حراً ليعلم الله عنه اختيار الـكفر أو الايمان)

خلق الله الانسان كباقى مخلوقاته تعالى على النظام السابق الذى ذكرناه فبعد أن أتم خلقه فى أحسن تقويم منحه الحرية التامة في هذه الحياة مستقلا تمام الاستقلال وسبقت كلمته تعالى بحق أن لا يمس حريته هذه فى زمن معلوم فى الدنيا (مدة حياته) (إلا بحق) حتى اذا لم يؤد واجب الشكر بنفسه فيها وبتمام اختياره أرغمه الله تعالى على تأديته يوم القيامة بالعذاب بالنار (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار) (لانه حق واجب الاداء بحرية النفس فى الدنيا) وهـذا النظام عدل وحق لتنفيذه كما سبق على السموات والارض والجن والملائكة وغيرهم وعلته (عزة نفس الله في الوهيته الكاملة) فقال تعالى عن حرية الانسان الكاملة : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ثم بين الغرض من هـذه الحياة المحدودة للعبادة في الآية : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وأوضح للجميع انه تعالى كتب كل شىء من عبادة أو كفر وإيمان فى أم الـكتاب فى الآية : ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لـكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . . . وبين لـكل انسان ان له فى علم الله طريقين من الخير والشر أو الـكفر والايمان هو مخير بينهما فى كل لحظة كالآيات : وهديناه النجدين . . . إنا هـديناه

السبيل إما شاكراً واما كفوراً وانه تعالى لم يخصص لمخلوق أزلاً طريقا واحداً أو عاماً واحداً بل هـذه الحياة الدنيا ماجعلت إلا ليعلم الله من الانسان اختياره لأحد الطريقين فقال تعالى : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (تبارك) وقال تعالى : فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . وقال تعالى : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى أيضاً : وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وقال تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله لقوى عزيز . الخ الخ

هـذا والانسان لا يمنعه الله مطلقا ان يتبدل من الكفر إلى الايمان وبالعكس كالآية : ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل وكالآية (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء)وما فتح الله طريق الكفر على مصراعيه أمام الانسان الا ليعلم هذا الانسان انه تام الحرية فى الايمان المذكور والذى لا يقبله الله منه الا بهذا الشرط بسبب « عزة نفس الله العلية وكبريائه الحق » كما ذكر ذلك فى الابواب السالفة

ولذلك لا يرضى الله الكفر لأحد من عباده . لانه لم يخلق لذلك إلا اذا أراد لنفسه الانسان ذلك ولان كلمة الله سبقت فى عدم مس حريته. ولهذا لم يخصص الله تعالى ولم يكتب عنده فى أم الكتاب أو اللوح المحفوظ للانسان طريقاً واحداً أو خط سير واحد كما يدعى بعض المضلين من المسلمين وغيرهم . بل جعل له وكتب له فى أم الكتاب كل شئ بواسع

علمه من طريقين متضادين عن الايمان والكفر معاً . . فان مات انسان على الكفر . . (وهو مسئول عن نفسه حتى عن الموت كالآية : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . . فلا يقال انه ليس له فى أم الكتاب أو فى علم الله غير هذه الموتة . . . بل له موتة أخرى ضدّها على الايمان . . تركها بتمام حريته . . . كقوله تعالى عن بعض الذين ماتوا على الكفر وهم يأتون يوم القيامة يقولون لعلمهم فيها بما كان مكتوبا لهم من قبل فى هذه الحياة قبل موتهم على الكفر (ياليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين) . . . . ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل وغير ذلك كثير جداً

— ٣٦ —

(الارادة الالهية متعلقة باختيار الانسان وحده)

(بين ضدين معلومين لله من قبل)

لو قيل ان الله تعالى كتب لانسان مهما كان الكفر وحده لانعدم الغرض من وجوده فى الدنيا لأجل مسمى بالمرة ويجب أن نمحى من كتاب الله تعالى كثيراً من الايات العامة لبنى الانسان عن ذلك كاية : فمن شاء فليؤمن الخ . . وكاية : من كان يريد ثواب الاخرة الخ . . وكاية : من كان يريد العاجلة الخ . . وغير ذلك ولكان خلق هذا الانسان عبثاً وباطلا وهذا يبرأ الله تعالى منه ولا يصح انتسابه اليه مطلقاً قال تعالى : (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) بل الحقيقة انه تعالى يعلم عن كل انسان مهما كان كل شيء من طريقى

الايمان والكفر معاً . وفى الوسط الذى يتواجد فيه وقد أراد تعالى منه أن يكون مخيراً فى كل منهما . . فارادته تعالى النافذة التماقة بهذا الانسان هى (الاختيار) وحده بين معلومين متضادين . ثم هى أول ظاهرة طبيعية واقعة فعلا أمام أعيننا فى جميع الاعمال البشرية المختلفة

(الاختيار . . . أول ظاهرة طبيعية فى الانسان)

لما كانت الارادة الالهية واجبة النفاذ حتما كقوله تعالى : (انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) تجد الانسان لتعلق الارادة الالهية باختياره بين ضدين مكتوبين له مخيراً دائماً طول حياته من ولادته الى موته . فكل انسان مهما كان طفلا كان أو شيخاً تجده دائماً مخيراً بين أمرين طيب وأطيب منه أو طيب وخبيث أو خبيث وأخبث منه والحياة ماجعلها الله الا ليميز الخبيث من الطيب من اختيار عباده لاحدهما وليكون الانسان فيما أراد لنفسه منهما . (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) (وليبلوكم أيكم أحسن عملا)

فان أراد أى انسان ايمانا فقد أراده الله له أيضاً وساعده وهداه فيه (يهديهم ربهم بايمانهم لانه تعالى أراد منه الاختيار وحده وإن كان هذا الايمان مكتوبا له بأنواعه قبل أن يخلق . . . ولو أراد هذا الانسان نفسه كفراً بعد ذلك مباشرة ولو بلحظة قصيرة فقد أراده الله له أيضاً (وان كان ذلك لا يرضيه رحمة منه) لانه تعالى أراد منه الاختيار وحده (بحق) وإن كان هذا الكفر بأنواعه مكتوبا له قبل أن يخلق أيضاً وكل من الكفر والايمان له عند الله جزاء يوقعه على هذا الانسان

مرغما . . فلا اختيار هناك فى الجزاء للانسان لانه بنوعيه من الله واقع كالاية « قل كل من عند الله » فمن آمن وشكر تجازى بالرحمة ومن كفر بالله تعذب . (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فالله يحب ويرضيه جداً أن يتمسك كل انسان مهما كان بالايمان والشكر كآية : (وما كان الله ليضع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) ولولا ان ارادته الحقة قضت بحق أن يكون الانسان مخيراً بين الكفر والايمان لكان هدى الناس جميعاً سهل عنده جداً (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ولكن الحق أحق أن يتبع فالانسان بنفسه يسعد وبنفسه يشقى واختياره الذاتى بين الأعمال المختلفة هو الذى يعرضه للجزاءات الالهية المختلفة العادلة وسيسئل عن كل صغيرة وكبيرة يوم القيامة بسبب ذلك ويجازى بما اختار لنفسه عدلا (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون)

أما علم الله تعالى بالاختيار نفسه فحديث لا يعرف الا عند وقوعه فعلا ممن يختار لان ارادة الله تعالى قضت بالاختيار بين ضدّين معلومين له تعالى فان قيل ان الاختيار كان معلوما لله من قبل وقوعه ما سمى اختياراً وفى الوقت نفسه تتناقض الارادة الالهية مع فرض العلم بالاختيار هذا كما هو ظاهر وهذا محال . ولهذا خص الله نفسه (بالرقابة) على ما تختار كل نفس مما وسع علمه تعالى فقال : (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) . (والله بما تعملون بصير) . (والله على كل شيء شهيد) . (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) . (إن ربه كان به

بصيراً) . (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) الخ . . كل ذلك ليعلم الله حديثاً من الانسان « اختياره » لما فى أحد الطريقين المتضادين المعلومين لله تعالى أزلاً من الايمان والكفر بجزاءاتهما المختلفة . . وان هذا الانسان سيخص نفسه فى حياته بجزء قليل مما وسعه علم الله له منهما ليكون الواقع فعلا فى عالم الشهادة وليترك بحريته وبعد تفكيره الباقى من غير أن يظهره الله له فى عالم الغيب مكتوبا كما كان والله تعالى ما زال قبل الاختيار وبعده (عالم الغيب والشهادة) (وما من غائبة فى السماء والارض إلا فى كتاب مبين) وذلك (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) والله بكل شىء عليم

— ٣٧ —

« حكمة الخلق »

(المؤمن محب لله — والكافر عدو لله)

عجيب جداً أن نرى بعض الناس والمشايخ يعلمون عامة المسلمين عقيدة القدر القديمة من أن الله تعالى قد كتب الكفر وحده في أم الكتاب لأى انسان كفر بالله تعالى فى هذه الحياة ثم مات على الكفر من غير أن يكتب له الله تعالى بجانبه ايمانا وموتا على الايمان فى أم الكتاب أيضاً . . وأعجب منه أن يصروا على ما فعلوا فى أنفس الناس من سوء الأثر ضد الله خالقهم بمثل هذا الافتراء من غير أن يرجعوا حالا بالتوبة اليه تعالى أو أن يبادروا بنشر حقائق دين الله التى نوهنا عنها في هذا الكتاب عن هذه العقيدة العويصة التى مضى عليها قرونا مطموسة حتى تشتت

بها الآراء واضمحلت بسببها الأمة وجمدت. فلا هى حية بالقرآن ولا هى ميتة بالأوهام. فان دعواهم بالواقع فعلا من الانسان مدة حياته من الكفر مثلا هو ما خصه الله به فى أم الكتاب دون غيره من الايمان وما يتبعه دعوى كاذبة حقاً وعقلا أيضاً وينبذها الكتاب الكريم

لان الكفر بالله معناه عداوة الله تعالى والسخرية به وبآياته وأنبيائه ورسله ومحاربته فى كل ما يريد للعالم من سعادة ورحمة . . . فخلقه تعالى انسانا للكفر وحده (فرضا) أمر لا يجيزه العقل الناضج ولا العدل ولا الحكمة. لانه تعالى إذا خلق أى انسان كافراً صميما لا ايمان له مطلقا ويكتب له ذلك وحده قبل خلقه. فعلاوة على كون هذا العمل عبثا وباطلا فانه يدل على عدم الحكمة الالهية أيضاً. لان الكافر مقضى عليه من الله علنا بالعذاب بالنار . . والله أعلن العالم على لسان الرسل انه برىء من مثل هذه التهمة الجائرة لانه تعالى بالعكس كتب لكل انسان مهما كان ايمانا وعملا صالحا وموتا على الايمان ودخول الجنة أيضاً بجوار كفره لانه أرفع وأنزه من أن يلعب بعذاب مخلوق ضعيف كالآية : (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) . بل كان الأولى له تعالى أن يخلقه (مؤمناً فقط) اذا كان ولابد لأى انسان (فرضاً) أن يكون له في علمه بأم الكتاب طريقا واحدا لا ثانى له لانه قادر على ذلك (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ليوفر الله على نفسه بالأقل سخرية الكافر واهانة الرسل المخلصين وقتلهم على ملأ من العالم . وبطريق آخر لو اتبعنا المضلين وقلنا . . اذا كان ولابد من أن يسد الله رحمته على بعض الناس

ليلهوا بعذابهم فى الدنيا والآخرة بلا سبب غير القدرة عليهم . وانه تعالى لم يسو بين الناس بالعدل فى قضائه وقدره عليهم قبل خلقهم بأن لم يجعلهم أمة واحدة وكشخص واحد أمام عدله وان رحمته ضيقة لم تسعهم جميعاً بلا استثناء « ورحمتى وسعت كل شىء » وانه تعالى لم يجعل لكل فرد منهم ايمانا وكفراً معاً ليختار بنفسه منهما ما يشاء لنفسه بل خص اناساً للكفر وحده وللعذاب وآخرين للايمان وحده وللهناء لهواً ولعباً الخ

إذا كانت كل هذه الأوهام مفروضة حقائق كما يدعى بعض المتممين اما كان الاولى له تعالى (من باب الذوق) أن يمتع هؤلاء الكافرين المختصين بالكفر وحده دون الايمان فى علمه وأم الكتاب ببعض الامتيازات البسيطة الفانية فى هذه الحياة القصيرة حتى يكونوا كمن يربى الشاة ليسمنها ويذبحها . . قبل أن يخلقهم فى الحياة الاخرى ويفتح عليهم باب عذاب أبدى لا آخر لنهايته من غير سبب غير القدرة على اللهو بتعذيبهم . . . هذا ما يقول به أقل الناس ادراكا . . . ولكنه تعالى يبرأ ثم يبرأ من مثل هذا التقسيم الأزلى كما يدعى هؤلاء الذين ستقع عليهم لعنة الله إن لم يرعوا إلى أنفسهم . . ويثوبوا إلى عقلهم وما يدعون به نفاقا من أخلاصهم لذاته العلية فان الله تعالى ساوى بين جميع الناس فى فتح باب رحمته وجعلهم من الاصل أمة واحدة . وخير كلا منهم فى هذه الحياة بين الايمان والكفر فالانسان بنفسه فيها يؤمن ويسعده الله بالهداية وبنفسه يكفر ويشقى بعذاب الله لكفره بحريته وقد يجازيه الله فى الدنيا ليمتنع عنه خوفا عليه ورأفة به من سوء الخاتمة . لانه تعالى لو خص بالفرض

انساناً (بالكفر وآخر بالتقوى لميزهم بالأقل كما سبق ولاعتبرهم أمتين منفصلتين لا أمة واحدة أزلاً كالآية : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسُرراً عليها يتكئون . . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك المتقين) (زخرف) ولكن حاشا لله أن يفرق بين انسان وآخر . . . ألم يقرأ هؤلاء قول الله بتساويه جميع الناس أمام رحمته وعذابه فى قوله تعالى : (نبىء عبادى انى أنا الغفور الرحيم وإن عذابى هو العذاب الأليم) . ألم يك ذلك دليل جديد على أن لكل فرد منهم طريقين الايمان والكفر هو حر فى اختيار أحدهما . ألم يعلموا ان الله تعالى ساوى بين جميع الناس فى قضائه وقدره فى النتيجة العامة من أعمالهم المختلفة فقال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) من غير تمييز حقاً للجميع فى دخوله رحمته (التى وسعت كل شىء فى العالم) بالاخلاص والتقوى — ألم يقرؤا قوله تعالى : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) . . . الكافر عدو الله بنفسه من غير سبب لو حكم عقله فى كفره هذا مع ان الله يحسن اليه ويمهله موقتا فى هذه الحياة ليقوم بواجب الشكر الحق بحريته وهو فى الحقيقة ظالم لنفسه والمؤمن محب لله بنفسه لما يحاط به من نعم لا تحصى من ربه (والذين آمنوا أشد حبا لله) وسيزيده الله هداية ونوراً ونعمة يوم القيامة ثم سيكون بالحق والعدل بعد تصفية الحساب بين الجميع : فريق فى الجنة وفريق فى السعير وما ربك بظلام للعبيد

« عبادة الطيور والحيوانات لله تعالى »

ذكرنا فيما سبق ان نظام الله واحد بين جميع المخلوقات فى الغرض من خلقها ووجودها من انها لم تخلق إلا لعبادة الله كالانسان فى زمن محدد وانها حرة بأمر الله لا يمسها الله إلا بحق عند الجزاء عن عمل خير أو شر أو ايمان وكفر وانها لم تخلق فى هذه الحياة إلا ليعلم الله عنها الطاعة أو العصيان وكلمتنا الان عن الطيور والحيوانات فهل نظام الله فى الغرض من خلقها واحد كالانسان سواء بسواء؟ . . .

أما الجواب على ذلك فتجده فى قوله تعالى : (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) فلا يخفى ان كلمة أمثالكم تفهمنا أنهم لا يختلفون عنا في الغرض من الوجود وانهم يؤمنون بالله تعالى أو يكفرون به بل هم يكسبون الخير ويكتسبون الشر والسيئات كالانسان تماما بلا فرق بنسبة خلقتهم وما يعلمه الله عنهم . وما يدل على أن أمام كل منهم طريقى الايمان والكفر أو الخير والشر والجزاء الذى يتوقع عليهم نظير اختيار أحدهما بحريته قوله تعالى على لسان رسوله سليمان عليه السلام إذ قال فى الاية (النحل)

وتفقد الطير فقال : « مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعذبنه عذاباً شديداً (نظير عصيانه) أو لأذبحنه (جزاء سيئاته ان ثبت عليه) أو ليأتينى بسلطان مبين (من عمل صالح من أعمال الايمان بالله) . . فمكث غير بعيد الخ الخ

فهذا دليل على حرية الهدهد فى عمله وانه معرضاً للثواب والعقاب

نظير عصيانه أو طاعته أو كفره وإيمانه كغيره من المخلوقات السابق ذكرها . حتى عند حضور هذا الهدهد عند رسول الله أجابه جوابا مسكتا يدل على علو نفسه وتفانيه فى التقرب الى ربه وأفهمه انه يعمل بنفسه بمواهب الله الذاتية فى نفسه بحق وحرية مما لم يعمله سليمان نفسه مع اتساع ملكه وقوة بطشه وسلطانه إذ قال له (احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) لان الله أعطى كل مخلوق موهبة خاصة للعمل الصالح . ولا عجب فى ذلك فقد قال تعالى عند ما سئل موسى عن ربه فى الآية : قال فمن ربكما ياموسى : قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

إذ لا يخفى ان هذا الجواب بالتعريف عن الله تعالى عام لجميع الخلق فانه تعالى أعطى كل شيء خلقه كاملاً لا نقص فيه بحيث يسهل عليه جداً عبادته وطاعته. ثم خص نفسه تعالى بالهداية لكل مخلوق آمن بالله بنفسه واهتدى بحريته كالأمثلة التى كررناها عن جميع المخلوقات السالفة ويدخل فيها الطيور والحيوانات بالبداهة إذ قال تعالى أيضا : (ألم تر أن الله يسبح له ما فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون . (النور) . . . ولا شك أن طريق الكفر مفتوح أيضا أمام كل من يعمل مع سليمان (عليه السلام) كالآية : ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . (سبأ)

وقال تعالى أيضا عن فتح طريق الكفر لجميع المخلوقات ومنها الطيور والدواب فى الآية : (الحج) ألم تر أن الله يسجد له من فى

السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب (أى بسبب الكفر من الدواب وغيرها)

وبالاختصار فان نظام الله واحد للطيور والحيوانات مهما كانت وانها كما تعبد الله بحريتها . قد ترتكب الآثام والمنكرات والجرائم فى حياتها أيضا كالانسان بلا فرق لأن نظام الله واحد عادل

ولا بأس من ذكر كلمة كتبتها جريدة السياسة في عددها الصادر فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ تحت نمرة ١٥٨٧ لمناسبتها لما ذكرناه الآن قالت

— ٣٩ —

(الجرائم بين الحيوانات)

(حقائق مدهشة عن سلوك بعض الحيوانات)

هل تعلم ان الجرائم كثيرة الوقوع بين بعض الحيوانات وانها — أى الحيوانات — ترتكب تلك الجرائم وهى تشعر بأنها تأتى أمراً إدًّا ؟

أجل فقد أثبت العلماء أن فريقا كبيراً من الحيوانات (ان لم تقل الحيوانات على اختلاف أنواعها) ترتكب جرائم كثيرة تشبه الجرائم التى يرتكبها البشر من قتل وسرقة وخطف ونشل وسكر وتزوير وخلافه . ولعله ما من جريمة معروفة بين البشر إلا ويرتكبها الحيوان — حتى الحيوان الأليف الداجن

فبعض أنواع الفيلة ترتكب الغدر بطريقة مخجلة لغير علة سوى الرغبة فى قتل الانسان والحيوان على حد سوى . وقد ذكر السياح

جرائم كثيرة من هذا القبيل ارتكبتها الفيلة المعروفة « بالشريرة » أو « الشاردة » . وذكر آخرون جياداً ارتكبت جرائم مدهشة إذ كانت تختطف الأمهار (جمع مهر) وتخبئها . وقيل عن كلاب من كلاب الرعاة المشهورة بأمانتها وبغيرتها على الغنم التي تحرسها انها كثيراً ما تغافل أصحابها في الليل فتفتك بالخراف المعهود اليها في حراستها

ولا تخلو الطيور أيضاً من هذه التهمة فقد روى عن بعض الطيور الأليفة المشهورة بوداعتها انها اذا سنحت لها الفرصة فلا تتأخر عن قتل من تستاء منه ولا سيما على أثر اطلاق أسرها من القفص

والغريب ان الحيات بريئة من جرائم الغدر والخيانة وكذلك معظم أنواع السمك . الا أن السمكة المعروفة « بالسيف » كثيرا ماتهاجم حوتا وتقتله لغير علة سوى انها تلهو بقتله

وللحشرات أيضاً سيئات كثيرة من هـذا القبيل ولا سيما النحلة والنمـلة فان كلتيهما مشهورة بشرورها . ومن النمـل ضرب يجتمع معا ويصطف بهيئة جيش محارب ثم يهاجم قرية أو وكرا لجيرانه من النمل لغير علة سوى حب القتل والتخريب والمعروف عن بعض أنواع النحل الـكسول أنه قد يهاجم قفيرا لغيره ويبيده . وكثيرا ما يسكر النحل والنمل — عمدا وبسبق اصرار — مما يمتصه من بعض الفواكه المعفنة والازهار الذابلة . ويقال ان في بلاد الحبشة نوعا من الغنم والماعز قد اعتاد السكر بتجرعه عصير الفول ونبات البن

والمشهور عن طير الـكوكو (الوقوق) الانجليزي انه مزور مشهور

ذلك انه يضع بيوضه فى أعشاش الطيور الاخرى بعد أن يزور شكلها حتى تشبه بيوض تلك الطيور . وغرضه من ذلك أن يتخلص من عناء انتظارها والاعتناء بها لفقسها وتربيتها

ولبعض الغربان والقردة شهرة عظيمة فى السرقة ومنها من تؤلف عصابات منظمة للسطو والسرقة ولهذه العصابات رؤساء ومديرون . ويعتقد بعض علماء الحيوان ان للغربان محاكم منظمة لمحاكمة المتهمين من أفرادها وأن تلك المحاكم تسمع أقوال الشهود والدفاع ثم تنتدب بعض افرادها لمعاقبة المتهم

هذه حقائق علمية توصل اليها علماء الحيوان بعد الدرس والاستقصاء وقد كان الاقدمون يعرفون الشيء الكثير من طبائع الحيوان . وكان العرب يعرفون من طبائع الخيل والجمال ما قد يخفى اليوم على علماء الحيوان . فهم أول من عرف أن الجمل حقود وأن الحصان حرود وأن الاسد قد يعف عن فريسته وان العقرب لا تؤمن وان الثعلب كثير الحيل

ولا يزال العلماء يواصلون البحث والاستقصاء للوقوف على طبائع الحيوان ويرجو بعضهم ان يستعين بالاستهواء الذاتى على معرفة الكثير من تلك الطبائع اه وهذا مصداق لقول الله تعالى (امم أمثالكم) فى عمل الخير والشر

— ٤٠ — (سوء الظن بالله تعالى)

بعض الناس يظن فى الله سوءاً خطأً وذلك انه اذا ارتكب انسان جريمة يقول لك هذا البعض بوقاحة : هل اراد الله وقوع هذه الجريمة منه ؟ ام لا ؟ فان قلت لم يرد .. قال لك وقع فى ملك الله ما لا يريد — وان قلت

أراد . . قال لك من الظلم مجازاته لان الله تعالى اذا اراد شيأ قال له كن فيكون. فجريمته من ارادة الله لا منه. وكذلك العلم . ايضا فيقولون بسخرية هل يعلم الله فى الوقت والساعه ان هذا الانسان ستقع منه هذه الجريمة ام لا ؟ . . فان قلت لا . . قال لك يتأيد الجهل وهو محال . . وان قلت نعم . . قال لك . . . انه مجبور عليها ولا حيلة له فى الخلاص منها فمحاسبته عليها ظلم لا عدل فيه. لانه مجبورا . . وهذه النظرية السالفة التى يسيئون الظن بالله بها لا اصل لها مطلقا فى العالم لانها وهمية ومن الأسف ان تأخر بعض المسلمين ما كان ولا صار الا من تمسكهم بهذا الوهم المريع جريا وراء الملحدين الذين يلوكون مثل هذه الاسئلة . فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . . ان هؤلاء لو تدبروا القرآن قليلا لعلموا من قول الله تعالى : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ان الانسان حر كامل فى نفسه وله الخيار التام من الله فى الايمان او الكفر وهذه هى الارادة الالهية من وجود الانسان . . وبما ان اعمال الايمان كثيرة بقدر سعة علم الله عن انواعها وكذلك اعمال الكفر والله كتب كل شىء عنده فى أم الكتاب . قبل ان يخلق احدا « ما فرطنا فى الكتاب من شئ »

فنفهم ان كل انسان له عند الله عاملان متضادان وعملان متضادان فى كل لحظة ايضا من حياته مع تنوعاتها الكثيرة كفرا وايمانا . . وما دام الانسان مخيرا بينهما بارادة الله السابقة فى الآية فالله تعالى لم يخصص جانبا واحدا منها لاى انسان . بل ارادة الله تعالى قضت (بالاختيار) بين الايمان والكفر وهو تعالى يعلم هذا الاختيار بالمراقبة فى الدنيا .فان اراد الانسان

ايمانًا بالله تعالى وعملا صالحا فارادة الله واقعة باختياره هذا وان اراد هذا الانسان نفسه الكفر بالله وعمل سيئا . . بدل الايمان السابق فارادة الله واقعة ايضا باختياره الاخير تحت مسئوليته . . . فالارادة الالهية بالاختيار واقعه على اى حال . وانما الفرض من ذلك مسئولية الانسان نفسه عن اختياره الشخصى بعد العقل . والالهام وانذار وتبشير الرسل حتى لايكون للناس على الله حجة بعد الرسل . فسوء الظن بالله اذاً إثم لامعنى له اما الانسان فلا يعد انسانا كاملا وهو فى عالم الارواح . . الا اذا تشكل فى بطن أمه وولد من ذكر وانثى انسانا . . ولذا كان هذا الاختيار فى هذه الحياة وحدها

وكان علم الله به حديثا ولا يتم الا بالمراقبة المستديمة الالهية فى الدنيا لا فى غيرها كما أوضحنا سابقا كالآية : « وما كنا عن الخلق غافلين »

— ٤١ — ماذا يقولون الكافرون يوم القيامة

قال تعالى عمن يعذبهم الله يوم القيامة بذنوبهم ويدخلهم النار لكفرهم وعدم ايمانهم فى هذه الحياة ما يأتى : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . فهذا برهان يكفى بان الله تعالى كتب لهم الايمان فى هذه الحياة فى أم الكتاب وبانفسهم قد اختاروا الكفر الذى يعذبون بسببه فى الآخرة وانهم لا يطلبون الرد الى الدنيا الا من تأكدهم فى الآخرة بسهولة نوال الايمان والموت عليه كما اوضحت ذلك فى الابواب السابقة

ويوجد مئات من الآيات القرآنية تدل على ذلك أيضا كالآية :

ويوم يعض الظالم على يديه فيقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا .

وكالآية : « فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين » وفى هذا القدر الآن كفاية . والحمد لله رب العالمين

تم الجزء الثانى —

فهرست

الجزء الاول من كتاب علم القضاء والقدر

صحيفة	نمرة الموضوع	الموضوع
٢	١	ماهو علم القضاء والقدر ـ ٢ ماهى أصوله
٣	٣	تعريف كل من القضاء والقدر
٥ ، ٦	٤	من اين أخذ هذا العلم ـ ٥ باب الدخول فى هذا العلم
٧	٦	جواب السؤال الاول ـ ٧ جواب السؤال الثانى
٨	٨	« « الثالث ـ ٩ شرط العبادة الحرية التامه للعبد
٩ ، ١٠	١٠	عزة الله وكرامة نفسه ـ ١١ الجواب الرابع
١٢	١٢	الجواب الخامس . . لله تعالى علمان الخ
١٣	١٣	علم الغيب والشهادة ـ ١٤ سعة علم الله
١٥	١٥	لايعلم الله اختيار الانسان الا بعد وقوعه فعلاً
١٨	١٦	الرقابة الالهية على كل مخلوق ١٧ امتحان المؤمنين
٢١ ، ٢٥	١٨	وما كان الله ليضيع ايمانكم ـ ١٩ الختم والطبع على القلوب
٢٦	٢٠	الانبياء وغيرهم لهم علمان عند الله أيضا
٢٧	٢١	اقدار في ام الكتاب فى علم الغيب الخ
٢٩	٢٢	جوهر العلم الالهى خاص بالله وحده
٣٠	٢٣	علم الله خلاف علم الانسان
٣١	٢٤	الاقدار الالهية للانسان نتيجة لمجهود الانسان الاختيارى
٣٢	٢٥	عالم الغيب والشهاده

فهرست

الجزء الثانى من كتاب علم القضاء والقدر

صحيفة	نمرة الموضوع	الموضوع
٣٤	٢٦	الانسان بنفسه يسعد ويشقى
٣٥	٢٧	الامم الاسلامية والامة المصرية فى حينها
٣٦	٢٨	المعدوم والموجود فى علم الله سواء
٣٧	٢٩	اقدار فى ام الكتاب لبعض الناس لم تقع لعدم اختيارهم لها
٤٢	٣٠	اقوال لبعض الناس عن القدر خطاء
٤٥	٣١	صديق آخر - رسم منزل بدعة علم الانكشاف
٤٩	٣٢	وحدة نظام الله تعالى فى عبادة المخلوقات
٥٠	٣٣	عبادة السماء والارض لله تعالى
٥٢	٣٤	عبادة الملائكة والجن او عصيانهم
٥٥	٣٥	عبادة الانسان لله تعالى
٥٧	٣٦	الارادة الالهية متعلقة باختيار الانسان وحده
٦٠	٣٧	حكمة الخلق
٦٤	٣٨	عبادة الطيور والحيوانات لله تعالى
٦٦	٣٩	الجرائم بين الحيوانات
٦٨	٤٠	سوء الظن بالله تعالى
٧٠	٤١	ماذا يقول الكافرون يوم القيامة

مؤلفات المؤلف

وتطلبه منه بعنوانه بوستة السيدة عائشة بمصر

		الثمن ص
كتاب : فلسفة الاسلام ومدنية القرآن جزء	أول	١٠
« « « « « «	ثانى	٨
رسالة دستور الاسلام »	أول	١
كتاب علم القضاء والقدر »	أول	٣
كتاب علم القضاء والقدر جزء	ثان	٣

﴿ اعلان مهم ﴾

مؤلف هذا الكتاب مستعد لالقاء محاضرات فى القضاء والقدر على أى جمعية علميــة أو أدبية أو في النوادى والنقابات وكذا مستعد للاجابة بالبوسته مجانا على أى سؤال أو أسئلة فى هذا الموضوع مهما كانت بعنوانه بوستة السيدة عائشه بمصر